قبل الصيام

هَلَّ هلالُه ، وخيمت ظلالُه ، وهيمن جلالُه ، وسطع جمالُه ، وعظم استقباله ، لاحت بشائر الرضا ، وأزلفت أيام الهدى ، وأقبلت ليالي التقى ..

القلوب فَرِحة ، والأنفس مشتاقة ، والعزائم متوقدة ، والأذهان متوثبة والأفئدة متطلعة ، شوقاً لرؤيته ، وحباً لطلعته ، وتيمناً بمقدمه ..

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

إنه موسم الطاعة ، وميدان العبادة ، ومجال الصدقة ، وشهر التوبة، أقبل في مدة يسيرة ، وفترة وجيزة ، وسرعة غريبة ، وسوف تنصرم أيامُه وتنقضي ساعاته ، وتسارع أوقاته ، فنفاجأ به وقد بقي قليلُه ، وأزِف رحيله .

لقد زارنا مرات عديدة ، وحل علينا سنوات مديدة ، فما زارنا من عام إلا وجدنا أسوأ من العام الذي قبله ، أمم متناثرة ، وقلوب متنافرة ، ودول متقاطعة ، وأحزاب متصارعة ، وفتن محدقة ، وشهوات مفرقة ، وحقوق مسلوبة ، وشعوب منكوبة ، وحرمات مستباحة ، وأعراض

منتهكة .. أتى ونحن في خلود إلى الأرض ، وانكباب على الشهوات ، وتنافس على الملذات ، وتسابق للمحرمات. سَهُلت المعصية ، وهانت الخطيئة ، وفترت الحمية ، وتلاشت الغيرة ، وضعف الوازع ، وغاب الرادع إلا من رحم ربك . عظمت الفتن ، واشتدت المحن ، وادلهمت الأمور ، وفدحت الخطوب وليس لها من دون الله كاشفه .. فنسأله تعالى أن يهله علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، وأن يقبل الصيام والقيام ، ويتجاوز عن الخطايا والآثام .

يا من تردد عليك رمضان ، وتكرر عليك شهر القرآن ، ومرت بك السنون ، وطواك الزمان ، أما آن بعد الأوان ؟!! .

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد : ١٦] .

ألم يأن استفهام استنكاري .. ألم يأت الوقت ، ويحل الأوان بعد ، ولم يقل للناس بل للذين آمنوا ، لمن رضوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً **﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾** ، والخشوع هو التعظيم والمحبة والذل والانكسار ، والخشوع يكون في القلب ، فقد يكون الظاهر خاشعاً لكن القلب على خلاف ذلك ، فهذا خشوع مُزوَّر ، وتذلل مصطنع ، ولكن الخشوع الحق هو ما سكن في القلب ، واستقر في الفؤاد ، وظهرت على الجسم آثاره ، وقطفت ثماره .

قال رسول الله ﷺ : «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن

ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» [رواه مسلم] .

وقد رأى عمر رضي الله عنه رجلاً طأطأ رقبته في الصلاة ، فقال: «يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ، ليس الخشوع في الرقاب ، وإنما الخشوع في القلوب».

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾.

أما آن أن تلين القلوب للذكرى الحسنة والموعظة الصادقة .. آما آن للقلوب أن تخشع لما نزل من الحق ، للقرآن الكريم ، للذكر الحكيم، للدستور الخالد الذي أنزل في شهر رمضان ، الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله !! .

﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ ...﴾ يحذر جل وعلا عباده المؤمنين من اتباع سبيل اليهود المغضوب عليهم ، والنصارى الضالين .. الذين بعدت بهم الأيام ، وامتد الزمان ، وطال الأمد ، وبعدت المسافة ، فقست قلوبهم ، وجَفَتْ أفئدتهم ، وفسدت نواياهم ، وخبثت طواياهم، وانصرفوا عن الحق ، وتنكبوا الصراط ، ونسوا ما أنزل إليهم من كتب ، ونبذوها وراء ظهورهم ، وحرفوا فيها، واشتروا بها ثمناً قليلاً ، ولم يتدبروا ما فيها ، ولم يعملوا بها ، وخانوا الرسالة ، وحاربوا الدعوة ونقضوا الميثاق.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة : ١٣]

يقول ابن مسعود رضي الله عنه : ما بين إسلامنا وبين أن خاطبنا الله بهذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ ..﴾ إلا أربع سنوات أي أن الله

تعالى استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم هذا العتاب بعد أربع سنوات ، فكيف بنا بعد أربعة عشر قرناً من الزمان ؟ ما أحوجنا إلى مراجعة الأعمال، ومحاسبة النفوس ، وتزكية القلوب ، وتصفية النوايا .

ها هو موسم عظيم من مواسم الخير قد فتح بابه ، ونادى مناديه ، ودعا داعيه : ياباغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر ، وكأنه ينادي في رفق ولين ، وحب وترفق ، وحسرة وإشفاق .

ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم وتزكو نفوسهم وتصفو سرائرهم ..

ألم يأن للذين آمنوا أن يعودوا إلى نهجهم ، ويثوبوا إلى رشدهم، ويعتصموا بكتاب ربهم ، وسنة نبيهم امتثالاً لأمر الله تعالى ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

ألم يأن للذين آمنوا أن يفيقوا من غفلتهم ، ويصحوا من سباتهم ويعرفوا ماذا يراد بهم ، وكيف يكاد لهم ..

ألم يأن للذين آمنوا أن يعرفوا لهذا الشهر قدره ، وأنه شهر عبادة وموسم طاعة ، وأنه صيام عن اللغو والزور والرفث ، فليس موسماً للمسلسلات الهابطة ، ولا ميداناً للمسابقات والفوازير الساقطة في وقت يحارب فيه الإسلام ، ويهاجم فيه الدين ، وتنتهك الحرمات ، ويذبح فيه الأطفال والنساء ، ويشرد فيه الضعفة من أوطانهم ، وتحاك المؤامرات ، وتدبر الحيل ، وتعد الخطط لضرب الإسلام وأهله .

ألم يأن للذين آمنوا أن يبتعدوا عن الربا ، وأن يعلنوا التوبة عن التعامل به ، وهم يعلمون أن درْهم ربا أشد عند الله من ست وثلاثين زنية ، وأنه إعلان للحرب على الله ورسوله .

ألم يأن للذين آمنوا أن يحاربوا دواعي الزنا ، ويقطعوا أسباب الخنا ، وهم يعلمون أنه دمار للأسر ، وهتك للأستار ، وغضب للجبار ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً** ﴾ [الإسراء : ٣٢] .

ألم يأن للذي أوتي أجهزة إعلامية ، وقنوات فضائية ، أو إذاعة صوتية ، فنشر بها الباطل ، وأظهر بها المنكر ، وأشاع بها الفاحشة ، وأهلك بها المثل ، ودمر بها الأخلاق ، وأفسد بها الضمائر ، وهتك بها الأستار ، وأسخط بها الجبار . .

ألم يأن له أن يجعل هذا الشهر شهر صيام عن الخنا ، وإمساك عن الردى ، وإقبال على الله ، وبحث عن رضاه ؟!! فهو الذي أعطاهم الأموال فحاربوه بها ، وأغدق عليهم الرزق فانتهكوا به محارمه ، فـ ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ** ﴾ [الرحمن : ٦٠] . . ﴿ **وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ** ﴾ [القصص : ٧٧] .

ألم يأن للذي بحّ صوته ، وشاخت حنجرته في الباطل . . أما آن له أن يتدارك ما بقي من العمر ، ويجعل من هذا الشهر فرصة للتوبة النصوح ومجالاً لتزكية الروح .

ألم يأن للكاتب الذي سخر قلمه ، ووظف بيانه في نشر الرذيلة ،

وتزيين الباطل ، وتحسين المنكر ، وإثارة الشبهات ، والدعوة إلى الشهوات، ألم يأن له أن يكف زعاف السم من قلمه ويثوب إلى رشده ويتقي ربه؟!! .

ألم يأن للتاجر الذي عاش على الحرام ، وغذي بالحرام ، وتجارته في الحرام ، ألم يأن له أن يستيقظ قلبه ، ويصحو ضميره ، ويجعل شهر رمضان فرصة لإعلان التوبة وإظهار الندم والرجوع إلى الله تعالى.

إن الإنسان إذا كانت معصيته في نفسه وخطيئته بينه وبين ربه فالأمر أهون ، والخطب أسهل ، ولكنك تعجب كل العجب من أناس يفتحون متاجرهم ، ويصرفون أوقاتهم ، ويقضون أعمارهم ، ويعيّشون أبناءهم من تجارة محاربة للدين ، ومفسدة للمؤمنين ، ومدمرة للمسلمين في أجسامهم أو أفكارهم أو عقائدهم أو أخلاقهم.

ألم يأن للذي سلط لسانه في الغيبة ، وأطلق عنانه في النميمة فأكل أعراض المسلمين ، ونهش لحوم المؤمنين .. ألم يأن له أن يتعود على صوم الجوارح عن اللغو والزور والرفث ، ويعلم يقيناً أن الصوم عن الأكل والشرب فقط لا يغني شيئاً ولا يجدي فتيلاً !! .

يقول ﷺ : «الصيام جُنَّة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل : إني صائم» .

[انظر صحيح الجامع : ٣٨٧٧]

فاندب زماناً سلفا .. سودت فيه الصحفا
ولم تزل معتكفا .. على القبيح الشَّنِع
كم ليلة أودعتها .. مآثماً أبدعتها
لشهوة أطعتها .. في مرقد ومضجع
فالبس شعار الندم .. واسكب شآبيب الدم
قبل زوال القدم .. وقبل سوء المصرع

ألم يأن للذين آمنوا أن يتذكروا بسرعة مرور الأيام ، وانقضاء الأوقات ، وتتابع الدهور ، وتعاقب الشهور ، أن يتذكروا بذلك رحيلهم عن الدنيا ، وفراقهم للأحبة ، ومسكنهم في الثرى ، ومبيتهم في القبور ، وقيامهم ليوم النشور ، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم .

ألم يأن لهم أن يعتبروا بمن صاموا معهم في السنين الخالية ، والأيام الفانية ، كم فارقوا من حبيب ، كم ودعوا من قريب ، أين هم الآن ؟ سل غنيهم ما بقي من غناه ، وسل فقيرهم ما بقي من فقره ، واسألهم عن الألسن التي كانوا بها يتكلمون ، وعن الأعين التي كانوا للذات بها ينظرون ، وسلهم عن الجلود الرقيقة ، والوجوه الحسنة ، والأجساد الناعمة ، ما صنعت بها الديدان تحت الأكفان ، وأُكِل اللِّحيان ، وعفرت الوجوه ، ومحيت المحاسن ، وكسرت الفقار ، وبانت الأعضاء ، ومزقت الأشلاء ، أين حجابهم وقبابهم ، أين خدمهم وحشمهم ، أين كنوزهم وجمعهم ، كأنهم ما وطئوا فراشاً ، ولا وضعوا متكأً ، ولا غرسوا شجراً ،

ولا عمروا منزلاً ، ولا ركبوا فارهاً ، ولاحضروا منتدى ، ولا ساروا في سوق ، أضحوا ووجوههم بالية ، وأجسادهم من أعناقهم بائنة ، وأوصالهم ممزقة ، وقد سالت الحدق على الوجنات ، وامتلأت الأفواه دماً وصديداً ، ودبت دواب الأرض في أجسادهم ، ففرقت أعضاءهم ، وبددت أوصالهم ، تزوجت نساؤهم ، وقسمت أموالهم ، ونسيهم أبناؤهم .

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يس : ٥١ – ٥٤] .

الصيام

أقبل الضيفُ الكريم ، ودنا الموسمُ القديم ، وأتى الوافد العظيم ، ضيفٌ أعلى الله مقامه ، ورفع أعلامه ، وبارك أيامه . تطلعت الأنفس المؤمنة إلى رؤيته ، وتشوقت الأفئدة الطاهرة إلى طلعته ، وزاد ترقب القلوب الصافية إلى زيارته ؛ فهو وجهٌ وضاء ، ووافد معطاء ، يفيض بالرحمة ، وينبع بالجود ، ويتفجر بالهبات ، والعطاءات والنفحات . أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، فضَّله الله على غيره من أقرانه ، وميزه على سائر إخوانه ، لما له من المكارم ، وما خُصّ به من المناقب ، وما حظي به من الفضائل ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ** ﴾ [البقرة : ١٨٥].

في شهر رمضان تلوح للمؤمن ذكريات عابقة ، وأمجاد رائقة ، وتاريخ مشرق ، ومجدٌ وضاء ؛ فهو تاريخ عريق ، ومجد وثيق ، وعبادة راسخة ، وشعيرة قديمة ، يضرب بجذوره في أعماق التاريخ ، ويمتد بفروعه إلى السماء ؛ ولا غرو فقد سقي بماء الوحي ، وشرب من رحيق الهدى ، وتضلع من زلال السماء ، فهو زمن اتصال الفناء بالبقاء ، والأرض بالسماء ، والضعف بالقوة ، والمغلوب بالغالب ، والفقر بالغنى ، والمخلوق بالخالق . رُصِّعت أيامه بجواهر الألفاظ السماوية ، وألبست لياليه

حلل النفحات الإلهية ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر : ١] ، وتوجت لحظاته بروائع الكلمات الربانية ، وتألقت ساعاته باستقبال الأحرف النورانية ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق : ١].

في أول يوم من أيامه أنزلت صحف إبراهيم ، وبعد مضي ستة أيام منه أنزلت التوراة على موسى عليه السلام ، وبعد مضي اثني عشر يوماً منه أنزل الزبور على داود عليه السلام ، وبعد مضي ثمانية عشر يوماً منه أنزل الإنجيل على عيسى عليه السلام وبعد مضي أربعة وعشرين يوماً منه أنزل القرآن على محمد ﷺ فالمحاسن متعددة ، والمفاخر متنوعة ، والمناقب متألقة . لقد كان ﷺ يتدارس القرآن مع جبريل في كل عام مرة في شهر رمضان ، إلا العام الذي توفي فيه فقد عارضه مرتين . لقد أتيحت الفرصة ، ودنت الغنيمة ، وهيئت المائدة ، فأين ذوو الألباب ، وأرباب النهى؟ ، أين أصحاب العقول النيرة ، والقلوب الحية ، والهمم العظيمة ، والعزائم القوية ؟.

صعد ﷺ المنبر ، وهو يقول : «آمين ، آمين ، آمين» ثلاث مرات فسئل عن ذلك ، فقال : «أتاني جبريل وقال : يا محمد من أدرك رمضان ولم يغفر له ، باعده الله ، قل : آمين ، قلت : آمين ، فقال يا محمد من أدرك أبويه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة باعده الله ، قل آمين ، فقلت آمين ، ثم قال : يا محمد من ذُكرتَ عنده ولم يصل عليك باعده الله ، قل : آمين ، قلت : آمين » [أخرجه ابن حبان في صحيحه] ، فانظر كيف ربط بين رمضان ، وبين الوالدين ، وبين الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ،

وذلك لأن الأبوين سبب في وجودك الحسي والمادي ، والرسول ﷺ سبب في وجودك الروحي والمعنوي ، وذلك بتلقيه للقرآن ، والقرآن كان نزوله في رمضان ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:٢٨٥].

لعظمة هذا الشهر ورفعة منزلته فإن الله تعالى تولى الجزاء عليه بنفسه ، فهل لك أن تتخيل جود أرحم الراحمين ، وعطاء أكرم الأكرمين؟! ، يقول ﷺ : «قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به» ، وفي رواية : «كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، يدع شهوته وطعامه من أجلي» [أخرجه البخاري ومسلم].

وقد هيأ الله تعالى باباً خاصاً في الجنة ، ومدخلاً مستقلاً لكبار الزوار من الصوام في الجنة باباً يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم . وإن من وفق إلى صيام هذا الشهر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه . إن بلوغ شهر رمضان أمنية المتقين ، ورغبة المؤمنين ، وهدية الموحدين ، وسلوة الطائعين ، وبستان الخاشعين ، لقد كان ﷺ يستبشر بقدومه ، ويدعو ربه ببلوغه فيقول : «اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان» [رواه أحمد] ، ولقد كان يبشر به أصحابه ، ويذكرهم بعظمته ، ويدلهم على منزلته ، فيقول : «أتاكم شهر رمضان ، شهر بركة ، يغشاكم الله فيه برحمته ، ويحط الخطايا ، ويستجيب الدعاء ، ينظر الله إلى تنافسكم فيه ، ويباهي بكم ملائكته ،

فأروا الله من أنفسكم خيراً ، فإن الشقي من حرم رحمة الله» .

فها هو شهر الصبر ، شهر التعود على الطاعة ، والبعد عن المعصية ، والانطراح بين يدي الرب ، وضبط النفس ، وكبح الشهوة ، ودفع النزوة ، ومحاربة الشيطان ، والقرب من الرحمن ، والترنم بالقرآن ؛ شهر البر والطاعة ، والصدقة والإنفاق ، والعزيمة والمسابقة ، والتناصح والتعاون ، شهر تهذيب النفس ، وتزكية الروح ، والتعود على الأخلاق الجميلة والصفات الحميدة ، والفعال المجيدة . فهو زكاة النفس ، ورياضة الجسم ، ودواعي البر ، وهو للإنسان وقاية ، وللجماعة صيانة . في جوع الجسم صفاء القلب ، وإيقاد القريحة ، وإيقاد البصيرة ، فالشِّبَعُ يورث البلادة ، ويعمي القلب . والصوم حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لله وخضوع ؛ لكل فريضة حكمة ، وهذه الحكم ظاهرها العذاب وباطنها الرحمة ، يستثير الشفقة ، ويحض على الصدقة ، ويكسر الكبر ، وَيُحَجِّم البخل ، ويمنع البطر ، ويسن خلال البر . حتى إذا جاع من ألف الشبع ، وحرم المترفُ أسباب المتع ، عرف الحرمان كيف يقع ، والجوع وألمه إذا وقع .

لقد بين المولى جل وعلا أن الهدف الأعظم ، والحكمة الأسمى ، والقصد الأجل من فرض الصوم هو : الوصول إلى درجة التقوى ، التي هي أسمى الدرجات وأعلاها ، وأرفع المنازل وأعظمها ، فهذا هو المطلوب الأول الذي شرع الصيام من أجله ، ولكن هذا الدين الكريم ، والمنهج القويم ، والدستور العظيم ، ما أمرنا بشيء إلا وفيه الخير الكبير ، والمنافع

الجَمّة ، والمصالح المتعددة ، وما نهانا عن شيء إلا وفيه الضرر الجسيم ، والخطر الوخيم ، والعذاب الأليم . ولقد أثبت الطب المتقدم ، والعلم المتطور أن الفوائد التي حواها الصيام لا حصر لها ، ولا عدد لها ، ففوائده عظيمة ، ومنافعه جليلة ، وهو أنجع دواء ، وأعظم وقاء ، بإذن رب الأرض والسماء .

هذا كتاب لبعض الدكاترة الكبار من غير العرب والمسلمين يتحدث فيه عن فوائد الصوم ومنافعه ، ويؤكد ويثبت بالأدلة والبراهين ، الصوم علاج ناجع ، ودواء نافع لأمراض عديدة ، وعلل فتاكة ، إن لم يكن لكل ذلك ، وقد ذكر بإيجاز ما هي الفوائد التي يجنيها الإنسان من الصوم ، فقال : إنك تصوم للأمور التالية :

لتخفيف وزنك بأسرع وأسهل طريقة – لتشعر بتحسن جسمي وعقلي – لتشعر بحيوية الشباب ، ولتبدو على أكثر ما يكون فتوة ونشاطاً – لكي توفر قسطاً من المال – لتعطي أجهزة جسمك فترة راحة مناسبة – لمعالجة العديد من الأمراض الشائعة – لتنظيف جسمك وتطهيره ، بإخراج الخبث والسموم منه – للتمكن من تخفيف كميات التدخين – لتخفيض معدل ضغط الدم ، وإنقاص مستوى «الكولسترول» فيه – لتستمتع بالجنس وتصبح أكثر شبقاً – لتترك الفرصة لجسدك كي يرمم نفسه بنفسه – للتخلص من التوتر النفسي أو العصبي – لتنهي الاعتماد على الأدوية والمهدئات – لتنام بصورة أفضل – لتتمكن معدتك من القيام بعملها – هضم الطعام – بصورة أفضل –

لتنظيم حركة الأمعاء – لتشعر بالنشاط والخفة – لصقل الحواس وإيقاظ المواهب – لتنشيط العمليات الفكرية – لتوفير الوقت – لمضاعفة احترام الذات – لتعلم عادات أكل أفضل – لمشاركة الجائعين جوعهم – لاكتساب القدرة على ضبط النفس – للسمو بالروح والوصول إلى الكشوفات الروحية – للتقيد بالشعائر الدينية – للفت الانتباه إلى الأمور الاجتماعية ذات الأهمية البالغة – لإبطاء عملية السير نحو الشيخوخة .

أيها المؤمنون قال نبيكم ﷺ : «إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين» [أخرجه البخاري] ، وقال: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وينادي منادٍ كل ليلة يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار ، وذلك كل ليلة» [أخرجه الترمذي وابن ماجة].

إن الشياطين تصفد في رمضان ، ولكن من لنا بشياطين الإنس الذين تفلتوا من كل قيد ، وتحللوا من كل رباط ، لقد ظهر شياطين مردة ، وأبالسةٌ فجرة ، يستحي إبليس من فعالهم ، ويتعلم الشيطان وجنوده منهم ، ظهروا على المسلمين عبر شاشات الخنا ، وقنوات الرذيلة ، يبشرونهم ببرامج خلابة ، ومشاهد جذابة ، يعدونهم ويمنونهم بما سيقدمون لهم من أغنيات ماجنة ، ورقصات آثمة ، وأفلام ساقطة ، ولا يستحيون حينما يتبجحون فيقولون للناس : إن ذلك بمناسبة رمضان المبارك ، وأي بركة ، وقد برك إبليس على قلوبهم ، وجثم الباطل على

صدورهم ، وعشعش الخنا في ثنايا نفوسهم ، وأعماق حياتهم؟! ، ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً ﴾ [النساء : ٢٧] .

إنني أدعو كل مسلم أن يتقي الله في هذا الشهر الكريم ، فوالله لا ينفع إمساك عن الطعام والشراب مع إطلاق للجوارح في هذه المآثم ، وتلك المخازي ، قال ﷺ : « الصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب » [رواه البخاري] ، وقال : « ليس الصيام من الأكل والشرب ، وإنما الصيام من اللغو والرفث » [صحيح ابن خزيمة] ، وقال جابر رضي الله عنه : « إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم » ، فلنحذر أيها الأحبة كي لا نكون ممن قيل فيهم : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً ﴾ [الفرقان :٢٣].

وإنني أدعو وسائل الإعلام في بلادنا أن تحارب هذه الرذائل ، وأن لا تجعل منها قدوة ، وأن تعمر أوقاتها بما يتناسب مع هذا البلد الطيب ، والمجتمع المسلم ، وأن يكونوا قدوة حسنة ، ونموذجاً فريداً ليديم الله علينا أمننا وأماننا ، وأنسنا ورخاءنا . أسأل الله أن يحفظهم من كل سوء ، وأن يقيهم من كل مكروه . ولنعلم أن الذي يمكث في الأرض هو ما ينفع الناس ، وأما الزبد فيذهب جفاءً ، قال سبحانه : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور :٦٣].

obeikandl.com

الخزائن التي لا تنفد

ويتجرأ اليهود على الله عز وجل على عادتهم التي عرفوا بها ، من التأليٍّ على الله تعالى والافتراء عليه ، فيصل بهم الخبث والكفر إلى أن يقولوا : ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة : ٦٤] ، وقد حكى القرآن الكريم كثيراً من سوء تصوراتهم وافتراءاتهم على الله ورسله وكتبه وعباده الصالحين ، فقد قالوا في جرأة ووقاحة : ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران : ١٨١] وذلك حينما سئلوا النفقة في سبيل الله ، وقالوا يد الله مغلولة ، يعللون بذلك بخلهم .

وقد بلغ من غلظ حسهم ، وجلافة قلوبهم ، وخبث نفوسهم أنهم لم يعبّروا عن المعنى الفاسد الكاذب الذي افتروا به على الله تعالى وهو البخل ، لم يعبروا عنه بلفظه المباشر ، فاختاروا لفظاً أشد وقاحة وتهجماً وكفرا ، فقالوا : ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ، هذه المقولة الخبيثة ، والشبهة الماكرة يوردها القرآن الكريم ليرد عليها ، وليخلد لعن قائليها ومقتهم على ألسنة الناس إلى يوم القيامة . ثم انظر إلى بلاغة القرآن وإعجازه حيث يورد الشبهة مختصرة موجزة لفظاعتها وشناعتها وخستها ، ثم يطيل ويفصل في الرد عليها ، وهذا هو الأسلوب الأمثل ، والمنهج الأقوم . فإن بعض الناس إذا أراد أن يتكلم على شبهة معينة أطال في بيانها وتفصيلها ثم أوجز واختصر في الرد عليها ، والواجب عكس ذلك .

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ..﴾ [المائدة: ٦٤]، وقصدهم بقولهم ﴿مَغْلُولَةٌ﴾ أي بخيلة.

وقد رد الله عليهم ما قالوه وقابلهم فيما اختلقوه وافتروه وأتفكوه، فقال: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾، وقد وقع لهم ذلك فأصبحوا أبخل الناس، وأحسد الناس، وأجبن الناس ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢].

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، فهو واسع الفضل، جزيل العطاء، ما من شيءٍ إلا عنده خزائنه، وما يخلقه من نعمةٍ إلا منه وحده لا شريك له. خلق لعباده كل ما يحتاجون إليه في ليلهم ونهارهم، وحضرهم وسفرهم، وفي جميع أحوالهم، قال تعالى: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فهو أكرم الأكرمين، لا تغيض نفقاته بمرِّ السنين، ولا يمل سؤال السائلين، ولا يتبرّم بإلحاح الملحِّين، ولا تختلف عليه حوائج الطالبين.

قال ﷺ: «إن يمين الله ملأى لا يَغيضُها نفقة – يعني لا ينقصها – سحَّاءُ الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض؟ فإنه لم يَغِضْ ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى القبض، يرفع ويخفض» [أخرجه البخاري].

فسبحانه من خلاق عظيم، جوادٍ كريم!! ؛ الكرم صفة من صفاته،

والجود من أعظم سماته ، والعطاء من أجلّ هباته ، فمن أعظم منه جوداً؟! الخلائق له عاصون وهو لهم مراقب ، يكلؤهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوه ، ويتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوا ، يجود بالفضل على العاصي ، ويتفضل على المسيء . من ذا الذي دعاه فلم يستجب له أم من ذا الذي سأله فلم يعطه ، أم من ذا الذي أناخ ببابه فنحاه؟ فهو ذو الفضل ومنه الفضل ، هو الجواد ومنه الجود ، وهو الكريم ومنه الكرم .

وإن كرم الله تعالى وجوده وعطاءه شمل كل الأمور المادية والمعنوية ؛ المادية كأنواع الرزق التي أخرجها لعباده ، وصنوف الثمار وألوان النعم ، وكنوز الأرض، وإنزال الغيث، والإمداد بالأموال والبنين وغير ذلك من جود رب العالمين . والمعنوية كَسَعَة المغفرة ، وغفران الذنوب وعظمة الأجور، وشرح الصدور ورفع المنزلة، وإعلاء الدرجة.

وإن الجواد الكريم ، يحب من كان جواداً كريماً ، ولذلك فإنه تعالى يحب الكريم ، ويعلي درجة الجواد ، ويعظم أجر المنفق ، ويخلفه في إنفاقه ﴿ **وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ** ﴾ [سبا : ٣٩].

ويقول تعالى : ﴿ **وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٧٢].

ويقول سبحانه : ﴿ **وَأَنفِقُوا خَيْرًا لأَنفُسِكُمْ** ﴾ [التغابن : ١٦].

فهو كريم يحب الكرم ، منفق يحب الإنفاق ، ذو فضل وعطاء ، يحب أهل الفضل والعطاء ، وإن له جل وعلا أزمنة يعظم فيها عطاؤه،

ومواسم يكثر فيها جوده ، ومنها شهر رمضان الكريم ، وفيه أنزل قوله : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة : ١٨٦] وفي الحديث القدسي قال رسول الله ﷺ : « كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله – عز وجل – : إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به » [رواه مسلم].

وقال في الحديث القدسي أيضاً : « يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخْيَط إذا أدخل البحر » [أخرجه مسلم].

وقال أيضاً عن كرمه وجوده : « يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي » [أخرجه الترمذي] ، فما الكرم إن لم يكن كرمه ، وما الجود إن لم يكن جوده ، وما العطاء إن لم يكن عطاءه؟!. وإن الله جل وعلا لما أحب هذه الصفات وارتضاها لنفسه غرسها في أحب الناس إليه ، وأقربهم منه ، وهو نبيه ﷺ ، فهو أكرم بني آدم وأجودهم وأكثرهم عطاءً وأعظمهم قال عنه أنس رضي الله عنه : « كان النبيُّ ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس » [رواه البخاري].

ولقد كان الجود والكرم والبذل والعطاء من الصفات التي جبل عليها ونشأ على حبها ، وتعلق قلبه بها ، حتى قبل مبعثه ﷺ ، ولذلك حينما بُدئ بالوحي ، فعاد إلى خديجة خائفاً وجلاً ، وقال لها : لقد خشيتُ على نفسي ، قالت : « والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ،

وتحمل الكلّ ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق» [رواه الشيخان] ، ثم تزايدت هذه الخصال ، وتعمقت هذه الصفات في نفسه ﷺ بعد مبعثه .

يقول أنس رضي الله عنه : «ما سُئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه . فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين . فرجع إلى قومه فقال : يا قوم! أسلموا. فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة» [رواه مسلم].

ولقد كان عطاؤه ﷺ وجوده بجميع أنواع الجود ، من بذل العلم ، وبذل المال ، وبذل النفس في سبيل الله تعالى ، ونصرة دينه ، وإعلاء كلمته . وكان يبذل المال إما لفقير أو محتاج أو في سبيل الله أو يتألف به على الإسلام من يقويّ الإسلام بإسلامه ، وكان يؤثر على نفسه وأهله فيعطي عطاءً يعجز عنه ملوك الدنيا ، ويعيش في نفسه عيش الفقراء ، فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار ، وربما ربط الحجر على بطنه من الجوع . يقول جابر بن عبد الله : «ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط ، فقال : لا» [متفق عليه].

ما قال لا قط إلا في تشهده
لولا التشهد كانت لاؤه نعم
يكاد يمسكه عرفان راحته
ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم

في عودته ﷺ من حنين كثر عليه الأعراب يسألونه ويستجدونه حتى

اضطروه إلى سَمُرة – نوع من أنواع الشجر – فخطفت رداءه ، فوقف النبي ﷺ ، فقال : «أعطوني ردائي ، لو كان لي عدد هذه العِضاه نَعَمٌ لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً»[أخرجه البخاري].

تعــــوّد بسط الكفّ حــــتى لَوَ انّهُ
ثناها لقـــبضٍ لم تجـــبـــه أنامله
هو البـــحـــرُ من أيِّ النَّواحي أتيـــتَـــهُ
فلجـــتُـــه المعـــروفُ والجـــودُ ســـاحله
ولو لم يكنْ في كـــفِّـــه غـــيـــر روحـــه
لجـــاد بهـــا فليـــتق الله ســـائله

وإليك الآن موقفاً أطرف ، وخبراً أعظم ، وقصة أمتع ، لترى من خلالها الجود المتأصل ، والكرم المتعمق ، والمعجزة الإنسانية . ضع يدك على قلبك وأنت تسمع هذه الواقعة الرائدة ، والوقفة الماجدة :

جاءت امرأة إليه ﷺ ببردة منسوجة ، فقالت : نسجتها بيديَّ لأكسوكها ، فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها ، فخرج إلى أصحابه وإنها لإزاره ، فقال فلان : اكسنيها ما أحسنها – علم أنه ﷺ لا يقول لا – ، فقال : «نعم» ، فجلس النبي ﷺ في المجلس ثم رجع فطواها ، ثم أرسل بها إليه ، فقال له القوم : ما أحسنت ، لَبسها النبي ﷺ محتاجاً إليها ، ثم سألته وعلمت أنه لا يرد سائلاً ، فقال : إني والله ما سألته لألبسها ، إنما سألته لتكون كفني ، فكانت كفنه!!» [أخرجه البخاري] فما أعظمه من مسؤول ، وما أعجبه من سائل، وما أسعد حظه ، وأوفر نصيبه ، حيث

تسجّى بتلك البردة بعد ذلك الجسد الطاهر!! .

كـــأنك في الكتـــاب وجـــدت لاءً
مـــحـــرمـــة عـليـك فـــلا تحلُّ

إذا حـــضـــر الشـــتـــاء فـــأنت شـــمس
وإن حـــضـــر المصـــيف فـــأنت ظلّ

ومـــا تـدري إذا أنـفـــقـت مـــالاً
أيـكـثـــــر مـن عـطـائـك أو يـقـلّ

اللهم صلِّ وسلم على أبر الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس .

لقـد كـان رسـول الله ﷺ أجـود الناس ، وكـان أجـود مـا يكون في رمضان ، حيث يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فـيدارسـه القـرآن ، فَلَرسـول الله ﷺ حين يلقاه جـبـريل أجود بالخير من الريح المرسلة » [متفق عليه].

ولا شك أن المخـالطة تؤثر وتورّث أخـلاقـاً من المخـالَط ، فكيف بمن يخالط جبريل ، ويتلقّى عن الجليل؟!.

لمست بكفي كَـــفَّـــهُ أبتـــغي الغنى
ولـم أدر أن الجـــود من كـــفـــه يعـــدي

فلنقتـد بنبـينا ، ولنعلم أن الجـواد قـريب من الله ، قـريب من خلقـه، قريب من الجنة ، بعيد عن النار .

obeikandl.com

الإنفاق في عهد الصحابة

وهكذا يتلقى الصحابة عن الرسول ﷺ دروساً في الكرم والجود ، والبذل والإنفاق ، والبر والمعروف . لقد عُمرت قلوبهم ، وتعلقت أفئدتهم بربهم جلّ وعلا ، وعرفوا جوده وإحسانه ، وكرمه وامتنانه ، ثم عاشوا مع نبيهم ﷺ فرأوا كرماً لا مثيل له ، وجوداً كالريح المرسله ، علمهم الكرم قولاً وفعلاً ، ودرساً وتطبيقاً ، لفظاً وتحقيقاً ، فمضوا مستنيرين بنهج القرآن العظيم ، وبهدي النبي الكريم ، فضربوا للدنيا أروع الأمثلة في الكرم ، ورصعوا جبين التاريخ بأصدق الحقائق في الجود ، وتوجوا هامة الزمان بأعاجيب البر والبذل والإحسان .

كيف لا؟! وهم أول من أسلم ، وأصدق من آمن ، وأفضل من صدّق أتاهم الوحي وهم في شوق إلى لقائه ، وتشوف لرؤيته ، وتطلع لروعته ، أناروا به قلوبهم ، وأحيوا به أنفسهم ، وعمروا به أوقاتهم . لا كتاب لهم غيره ، ولا منهج لهم سواه ، ولا شاغل لهم عنه ، فأقبلوا عليه قراءةً وتدبرا ، وتفكراً وتأمّلا ، وتطبيقاً وتمثّلا ، لم يمتنعوا من الإنفاق خشية الفقر ؛ لأن مولاهم ناداهم بقوله : ﴿**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [سبا : ٣٩] ، ولم يخافوا أن تُبخس أجورهم لأنه قال لهم : ﴿**وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ**﴾ [البقرة : ٢٧٢] ، وقال : ﴿**مَثَلُ**

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ..﴾ [البقرة : ٢٦١] ، ثم كادت تطير قلوبهم لندائه جل وعلا لهم ، ذلك النداء الإيماني ، في ذلك الأسلوب الحاني : قال تعالى : ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة : ٢٤٥] ، فدمعت الأعين ، واشتاقت الأنفس ، واستجابت القلوب ، فتسابقوا ليقرضوا ربهم ، ويرضوا مولاهم فلنتأمل شيئاً من قصصهم في الإنفاق ، وبعضاً من روائعهم في البذل، لنذكي بتأملها جذوة الإيمان في نفوسنا ، ونحيي بسماعها روعة الإنفاق في حياتنا ، والقصص عظيمة ، والمواقف متعددة ، والأخبار عجيبة .

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه رائد الإنفاق الأول بعد النبي ﷺ ، حيث كان يجود بكل ما يملك في أحيان كثيرة ، يقول عمر رضي الله عنه : أمرنا رسول الله ﷺ يوماً أن نتصدق ، ووافق ذلك مالاً عندي ، فقلت اليوم أسبقُ أبا بكر رضي الله عنه إن سبقتُه يوماً – ، فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله ﷺ : «ما أبقيت لأهلك؟» ، قلت : أبقيت لهم ، قال : «ما أبقيت لهم» ، قلت : مثلَه ، وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال ﷺ : «يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟» قال : أبقيت لهم الله ورسوله . قال عمر : قلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً [رواه أبو داود] .

وإن أعجبتك هذه القصة فاعلم أن لأبي بكر غيرها كثيراً ، بل إنّ هذا البيت كلَّه بيتُ جودٍ وكرم وإنفاق ، فعائشة وأسماء من أكرم النساء ، ولقد كان لأبي بكرٍ رضي الله عنه موقف قبل هذا ، أخذ فيه ماله كله لينفقه في

سبيل الله ولنصرة رسول الله ﷺ ، تقول ابنته أسماء – رضي الله عنهما – : لما خرج رسول الله ﷺ ، وخرج أبو بكر رضي الله عنه معه «مُهاجَرْين» احتمل أبو بكر ماله كله معه ، فدخل علينا جدّي أبو قحافة وقد ذهب بَصره ، فقال : والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه ، قالت : قلت : كلا يا أبت ، إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً ، قالت : وأخذت أحجاراً فوضعتها في كوّة البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوباً ثم أخذت بيده فقلت : يا أبت ضع يدك على هذا المال ، قالت : فوضع يده عليه ، فقال : لا بأس إذا كان قد ترك هذا فقد أحسن ، وفي هذا بلاغ لكم ، ولا والله ما ترك لنا شيئاً ، ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك [رواه أحمد] .

فإذا ما انتقلنا من ساحة أبي بكر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه نجد آية أخرى من آيات البذل والعطاء والإيثار . عمر لم يكن صاحب مالٍ كثير، ولا تجارة واسعة ، ولكنه كان يجود بأنفس ما عنده ، وأحسن ما لديه ، وقد تولى أمور المسلمين فآثرهم على نفسه ، وقدمهم على بنيه ، حتى كان بطنه يقرقر من الجوع وهو يخاطبه قائلاً : قرقر أو لا تقرقر ، والله لا تشبع حتى يشبع أطفالِ المسلمين ، وله قصص كثيرة وعظيمة في تفقده للمسلمين ، وسؤاله عن أحوالهم ، وسعيه بنفسه لإطعامهم والإنفاق عليهم .

خرج مرة إلى السوق فلحقته امرأة ، فقالت : يا أمير المؤمنين هلك زوجي ، وترك صبيةً صغاراً ، والله ما ينضجون كُراعاً ولا لهم زرع ولا

ضرع ، وأنا بنت فلان بن فلان ، وقد شهد أبي الحديبية مع النبي ﷺ فوقف عمر ثم قال : مرحباً بنسبٍ قريب ، ثم انصرف إلى بعيرٍ شديد الظهر قويٍّ على الرحلة كان مربوطاً في الدار ، فحمل عليه عدلين ملأهما طعاماً ، وجعل بينهما نفقةً وثياباً ، ثم ناولها خطامه ، ثم قال : اقتاديه ، فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير .

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه آية للسائلين ، ونموذجاً للباذلين ، وقد أنفق أموالاً عظيمة في سبيل الله تعالى ، وهو الذي جهز جيش العسرة ؛ قيل بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها ، وقيل بعث إلى النبي ﷺ بعشرة آلاف دينار ، وقيل جاء بسبعمائة أوقية ذهب وقد دعا له رسول الله ﷺ دعاءً كثيراً وقال : « ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم » [رواه أحمد] ، وفي يوم من الأيام أقبلت له عير كثيرة محملة بالأطعمة والأرزاق ، فتسابق التجار إليها لشرائها ، وأخذوا يزاودون عليها وهو يقول : أعطيت أكثر من هذا ، حتى قالوا له : نحن تجار المدينة ، فمن هو الذي أعطاك أكثر منا؟ ، قال : الله جل وعلا أعطاني بالحسنة عشر أمثالها ، إنني أنفقها في سبيل الله تعالى ، فأنفقها كلها في سبيل الله تعالى .

أما أبو طلحة رضي الله عنه ، فقد وقف ملياً أمام قوله تعالى : ﴿ **لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ [آل عمران : ٩٢] ، فانطلق إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ وإن أحب أموالي إليَّ بيرُحاء – وهي عين عذبة متدفقة – وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله ، فضعها يا رسول الله حيث

أراك الله ، فقال رسول الله ﷺ : «بخٍ ! ذلك مال رابح ، ذلك مال رابح» [متفق عليه].

أما أبو الدحداح رضي الله عنه ، فقد لفت نظره قول الله تعالى : ﴿**من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً**﴾ فعجب من ذلك، كيف يطلب الله جل وعلا ، وهو الغني الكريم ، يطلب القرض من عباده ، فقام إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا رسول الله ، إن الله يريد منا القرض؟ قال : «نعم يا أبا الدحداح» ، قال : أرني يدك ، فناوله يده ، قال : إني أقرضت ربي حائطي – وحائطه من أكبر بساتين المدينة ، وقد كان فيه ستمائة نخلة – فجاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه وعيالها ، فنادى : يا أم الدحداح ، قالت : لبيك ، قال : اخرجي فقد أقرضته ربي .

وهكذا كانوا – رضي الله عنهم – يستجيبون استجابة سريعة لله ولرسوله ، فلا تنزل الآية إلا تسابقوا لتطبيقها ، ولا يدعوهم ﷺ إلا سارعوا إليه ، وبادروا في تلبية مراده ، والعمل بقوله .

دعاهم مرة إلى الصدقة ، فسارع كل منهم بما يستطيع ، فجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، وما أدراك ما عبد الرحمن بن عوف! ، دعاهم ﷺ للصدقة فجاء عبد الرحمن ابن عوف ، فقال: يا رسول الله مالي ثمانية آلاف ، أما أربعة آلاف فأقرضها ربي، وأما أربعة آلاف فلي ، فقال له رسول الله ﷺ : بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت . فكان هنالك رجل فقير تذوب نفسه حسرة ويتقطع قلبه ألماً لأنه لا يجد ما يُنفق ، ولا يملك ما يتصدق به ، وهو أبو عقيل رضي الله عنه ، فذهب إلى أناس

وأجر نفسه لهم يجرّ لهم الماء على ظهره ليلته تلك على أجرة قدرها صاعان من تمر ، ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله هذا صاع من تمر بت ليلتي أجر بالجرير – الحبل – الماء حتى نلتُ صاعين من تمر، فأمسكت أحدهما لأهلي ، وأتيتك بالآخر ، فقال له ﷺ : انثره في الصدقة ، فسخر منه المنافقون ، وقالوا : إن الله ورسوله لغنيان عن صاعك هذا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [التوبة : ٧٩].

كان أهل المدينة عيالاً على عبد الرحمن بن عوف ، ثلث يقرضهم ماله ، وثلث يقضي دينهم ، وثلث يصلهم ويعطيهم .

وَقَدِمَتْ له سبعمائة راحلة تحمل البر والدقيق والطعام ، فلما وصلت المدينة أنفقها كلها بأحمالها وأحلاسها في سبيل الله .

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني مجهود – أي أصابني الجهد – وهو المشقة والحاجة والجوع ، فأرسل النبي ﷺ إلى بعض نسائه ، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء ، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك ، حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء . فقال رسول الله ﷺ : « من يضيف هذا الليلة؟ » ، فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله ، فانطلق به إلى رحله ، فقال لامرأته : هل عندك شيء ، فقالت : لا ، إلا قوت صبياني، قال : عللهم بشيء ، وإذا أرادوا العشاء فنوميهم ، وإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنَّا نأكل ،

فقعدوا وأكل الضيف ، وباتا طاويين ، فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال له : «لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة» [متفق عليه].

فكيف يهنأ المسلم بالنوم ، وبعض جيرانه لا يجد ما يأكل؟! وكيف يتذوق المؤمن طعم العيش ، وإخوانه المسلمون في أرجاء الدنيا يموتون جوعاً ، ويتساقطون فقراً ، ويذوبون حسرة ، ويموتون كمداً؟! ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٧].

نسأل الله جل وعلا أن يوفقنا إلى الاقتداء بهؤلاء العظماء ، وأولئك النجباء ، فإنهم قدموا أرواحهم ، وأموالهم في سبيل الله تعالى فلم يبخلوا ، ولم يجبنوا ، ولذلك رفع الله تعالى شأنهم في الدنيا والآخرة . فلنبادر إلى محاكاتهم ، والسير على منوالهم فإن الإنفاق أجره عظيم وجزاؤه كبير ، يقول تعالى : ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ : ٣٩] ، وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة : ٢٥٤] ، فأسند الفضل إلى فضله ، والزرق إلى خزائنه ، والعطاء إلى نفسه جل وعلا ، فهو المعطي والمتفضل .

ويقول ﷺ : «لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها» [رواه البخاري].

وقال ﷺ : «اتقوا النار ولو بشق تمرة» [متفق عليه] ، ولذلك كانت عائشة تتصدق بحبة العنب ، فقيل لها في ذلك ، فقالت : كم فيها من

مثاقيل الذر ، تشير إلى قوله تعالى : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة : ٧].

وقال ﷺ : «ما من يوم يصبح فيه العباد إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً» [أخرجه البخاري ومسلم].

ويقول ﷺ : «أيكم مال وارثه أحبُّ إليه من ماله؟» ، قالوا : يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحبُّ إليه ، قال : «فإن ماله ما قدم ، ومال وارثه ما أخّر» [أخرجه البخاري].

obeikandl.com

العيـــد السعيـــد

قال المولى جل وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس : ٥٧].

الفرح بفضل الله ، والبهجة برحمته ، والأنس بجوده ، والسرور بعطائه ، والسلوان بهدايته ، والسعادة بمنهجه ، هذا هو الفضل الذي يُفرح به ، وتلك هي الرحمة التي يسعد بها ؛ الفضل الذي أنعم الله به على عباده من دين قويم ، وكتاب عظيم ، ونبي كريم ، ورحمته التي أفاضها على أوليائه ، حيث شملهم بلطفه ، وعمهم بعفوه ، وهداهم إلى طاعته ذلك هو الذي يستحق الفرح ، لا المال ، ولا الجاه، ولا السلطان ، ولا أعراض هذه الحياة الدنيا . إن ذلك هو الفرح العلوي ، والابتهاج القدسي ، الذي يطلق النفس من عقال المطامع الأرضية ، والشهوات المادية ، والأعراض الزائلة ، والمظاهر الخادعة ، فيجعل هذه الأعراض خادمة للحياة لا مخدومة ، ويجعل الإنسان فوقها ، وهو يستمتع بها ، لا عبداً لها خاضعاً لذلها ، مكبلاً برقِّها . إن المسلم يجب أن يكون مطمحه أعلى من هذه الأعراض ، وآفاقه أسمى من دنيا الأرض . فالإيمان هو النعمة ، وتأدية مقتضى هذا الإيمان هو الهدى ، فالفضل الأول والرحمة الأولى هو

ما جاء من الله من موعظة وهدى ، وهو ما وفق له العبد من طاعة وعبادة وخشوع وخضوع ؛ أما المال والثراء وأعراض الدنيا فهي تابعة لذلك وسبب لما هنالك .

يقول إبراهيم بن موسى : كنت مع فتح الموصلي في يوم عيد ، فرأى أناساً عليهم الطيالسة والعمائم والملابس الفخمة ، فقال : يا إبراهيم أما ترى ثوباً يبلى وجسداً يأكله الدود غداً ، كم من أقوام أنفقوا خزائنهم على ظهورهم وبطونهم ويَقْدُمون على ربهم مفاليس .

عسى وعسى من قبل وقت التفرق
إلى كل ما نرجو من الخير نلتقي
فَيُجبر مكسور ويقبل تائب
ويُعتق خطّاء ويُسعد من شقي

لما قدم خراج العراق على عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج عمر ومولىً له فجعل عمر يعد الإبل فإذا هي كثيرة جداً ، وجعل يقول : الحمد لله تعالى ، الحمد لله تعالى ، فجعل مولاه يقول له : هذا والله من فضل الله ورحمته – وهذه طريقة كثير من الجلساء وفئام من البطانة – ولكن ذلك الكلام المعسول لم يستهو فؤاد عمر ، ولم تطرب له نفسه ، بل صرخ في وجهه قائلاً له : كذبت ، ليس هذا هو الذي يقول الله تعالى ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ [يونس : ٥٨] هذا كان فهم عمر ، وذلك كان فقه السلف ، فالفرح والبهجة بالدين والطاعه والإيمان ، وما سوى ذلك فهو تبع له وسبب عنه .

وها نحن اليوم نعلن سرورنا ، ونبوح بفرحنا ، ونصدح بابتهاجنا ، فرحاً بفضل الله ، وسروراً برحمة الله ، وما أعظمه من فضل! وما أوسعها من رحمة ! هدانا لطاعته ، ووفقنا لعبادته ، وأعاننا على ذكره وشكره ، وفتح لنا أبواب رحمته ، ودعانا إلى جميل عفوه ، وسعة مغفرته ، وعظيم عطائه ؛ لقد عشنا ساعات من أروع ساعات العمر ، وأطيب أوقات الحياة ، مع ذلك الشهر المبارك ، شهر الأمة الإسلامية ، شهر المغفرة والرحمة ، شهر الجود والعطاء ، شهر القرآن والانتصار على الطغيان ، زادٌ لما بعده من الشهور ، وأخذٌ للعدة في مستقبل الأيام ، اجتهد فيه أقوام جعلوا رضا الله فوق أهوائهم ، وطاعته فوق رغباتهم ، اليوم عيد من أحسن الصيام ، واجتهد في القيام ، وأطعم الطعام ؛ اليوم سرورٌ لمن حفظ صيامه ، وصان لسانه ، وزكى فؤاده ، وراقب ربه ، وبذل ماله ، وأيقظ أهله ، اليوم عيدٌ لمن حافظ على الجمعة والجماعة ، وأذعن لربه بالطاعة ، هذا هو الذي يفرح ، وذلك هو الذي يُسَرّ .

وإن المحروم هو من أدرك هذا الموسم العظيم ثم لم يظفر من مغانمه بشيء ، حجبه الإهمال ، وأخّره الكسل ، ومنعه التهاون ، وغرّه طول الأمل ، قال ﷺ : « رغم أنفه » قيل : من يا رسول الله؟ ، قال : « من أدرك رمضان فلم يغفر له » [أخرجه ابن حبان] ، ليس العيد أن تتطيب بالأطياب ، وترتدي أحسن الثياب ، وإنما العيد لمن صام وصلى ، وتاب وأناب ، العيد لمن لبس ثياب الورع ، وتردى برداء الخشية ، وتطيب بطيب الصدق ، وتزين بحلية الإيمان .

وإن من المؤسف أن يوفق أناس لعمل الطاعة ، والتزود من الخير ، ثم إذا ما انتهى الموسم نقضوا ما أبرموا ، وهدموا ما بنوا ، ونكصوا على أعقابهم ، وتركوا الطاعة وعادوا للمعصية ، فتلك هي النكسة الكبرى ، والخسارة العظمى ، قال تعالى : ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا** ﴾ [النحل : ٩٢].

يجب على المسلم أن يداوم على الطاعة ، ويستمر في العبادة في جميع أوقات حياته ، وفي كل ساعات عمره ، قال تعالى : ﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** ﴾ [الحجر : ٩٩].

فإياكم والكسل بعد الجد ، والتواني بعد العزم ، ومقارفة الآثام بعد أن نجانا الله منها ، فما أعظم البشرى اليوم لعباد الله الطائعين ، وما أعظم سعادتهم يوم يقوم الناس لرب العالمين!! ، فيجدون ما قدموا ويسرون بما عملوا ، ويفرحون بما بذلوا ، «للصائم فرحتان ، فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه» [رواه مسلم].

وإن الذي فاته الركب ، وخانه الحظ ، وخالفه التوفيق ، لم تقفل الأبواب في وجهه ، ولم تغلق السُّبل دونه ، فباب التوبة مفتوح ، والمجال مفسوح ، ما لم تغرغر الروح . وليعلم المقصر أنه يعبد رباً رحيماً وسعت رحمته كل شيء ؛ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، عظيمٌ عفوه ، واسعةٌ رحمته ، وكثيرٌ جوده ينادي عبده نداء المتلطف ، ويدعوه دعوة المشفق ، فيقول جل وعلا : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ**

﴿الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر : ٥٣] ، فما أعظم جوده ، وما أوسع رحمته! . جعل الرحمة مائة جزء ، أنزل منها في الدنيا جزءاً واحداً به يتراحم الخلائق فيما بينهم ، حتى إن الدابة ترفع حافرها خشية أن تطأ وليدها ، وادّخر عنده تسعة وتسعين جزءاً يرحم بها العباد يوم القيامة !! .

روي عن وهب بن منبه أنه قال : خرج ثلاثة أحبار إلى العيد فقال أحدهم : اللهم إنك أمرتنا فيما أنزلت علينا أن نعتق العبيد في هذا اليوم ونحن عبيدك فاعتق رقابنا من النار ، وقال الآخر : اللهم إنك أمرتنا فيما أنزلت علينا أن لا نرد المساكين ونحن مساكينك فلا تردنا ، وقال الآخر : اللهم إنك أمرتنا فيما أنزلت علينا أن نعفو عمن ظلمنا ونحن عبيدك ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت أرحم الراحمين .

إن العيد نعمة من نعم الله تعالى على أمة الإسلام ، فهو ابتهاج بالطاعة ، وفرح بالنعمة ، وشكر على التوفيق ، وإعلان للأنس بمنهج الله وطاعته .

فاهنأ بطالعه السعيد يزينه
عيد الفقير وليلة الأرزاق
يتنزل الأجران في صبحيهما
جزْلين عن صوم وعن إنفاق

أيها المؤمنون ، إننا وإن فرحنا ففي النفس لوعة ، وإن أظهرنا سرورنا

ففي القلب حسرة ، وإن أبدينا أنسنا ففي الأعين دمعة . فكيف لجسد يأنس ويسلو والمرض يلتهم أطرافه ، والداء يدب في أوصاله؟! ، وكيف لجسم أن يفرح ، والسيف يغرس في خاصرته؟! ، وكيف لفؤاد أن يسعد والرمح يسدد إليه؟! ، « مثل المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » [متفق عليه].

فكيف نفرح ، والمسلمون تغتصب بلدانهم ، ويشرد أطفالهم ونساؤهم ، وتنتهك أعراضهم ، وتهان مقدساتهم؟! ، كيف نسعد ونفرح ، والإسلام أنى نظرت إليه في بلد تجده كالطير مقصوصاً جناحاه؟! إذا كنا في نعمة عظيمة وخيرات جسيمة ، وأمن وأمان ، وأنس واستقرار، فإن كثيراً من المسلمين يعيشون الويل والعناء ، والذل والمهانة ، والفقر والمسغبة والتسلط والعدوان ، ولكننا نبتهل إلى الله جل وعلا أن يصلح أحوالهم وأن يكبت أعداءهم ، وأن يبث البهجة والسرور في قلوبهم .

إن العيد في الإسلام غبطة في الدين ، وفرح بالطاعة ، وبهجة في الدنيا ، ومظهر للقوة والإخاء والصفاء والنقاء ، إنه فرحة بانتصار الإرادة الخيرة ، والعزيمة الصادقة على الأهواء والشهوات ، وفرح بالنجاة من إغواء شياطين الجن والإنس والفوز بطاعة الله تعالى ، وإن الذي يعرف قدر العيد وحقيقته هو الذي عرف قدر رمضان وحقيقته .

أيها الفرحون المسرورون الهانئون بالعيد ، كم من يتيم ينشد عطف

الأبوة الحانية ، ويلتمس حنان الأم الرؤوم ، ويرنو إلى من يمسح رأسه ويخفف بؤسه؟! ، وكم من أرملة توالت عليها المحن ، وفقدت عشيرها ، وعنوان سعادتها؟! ، وكم من فقيرٍ لا يجد ما يأكل؟! ، وكم من بائس لا يجد لأبنائه ما يلبسون؟! ، كل أولئك وأمثالهم بحاجة إلى نفوس مؤمنة وقلوب راحمة ، تنظر إليهم ، وترفق بهم وتحسن إليهم ، وما أحسن أن يُضم إلى فرحة العيد وبهجته فرح بتفريج كربة مسلم ، وملاطفة يتيم ، ومواساة ثكلى ، ومن عمل ذلك فإنما يعمل لنفسه ، ويدخّر لذاته ﴿ **وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ** ﴾ [البقرة : ٢٧٢] ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ** ﴾ .

[فصلت : ٤٦]

وإذا أردت أن تعرف أخلاق أمة فراقبها في أعيادها لأن العيد تنطلق فيه السجايا على فطرتها ، وتبرز فيه العواطف والميول والعادات على حقيقتها ، والمجتمع السعيد الصالح هو الذي تسمو أخلاقه في العيد إلى أرفع ذروة وأعلى قمة ، وتمتد فيه مشاعر الإخاء إلى أبعد مدى ، حيث يبدو العيد تعاوناً وتراحماً ، تخفق فيه القلوب بالحب والود والبر والصفاء.

إن العيد مناسبة لإطلاق الأيدي الخيرة ، وإدخال السرور ، وتجديد المودة ، وصلة الرحم ، والبر بالقرابة ، واعلموا أن من علامات قبول الطاعة إتباعها بالطاعة بعدها، وقد قال ﷺ : « من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر» [رواه مسلم] ، تقبل الله منا ومنكم وغفر لنا ولكم ، وكلّ عامٍ وأنتم بخير ، وعيد سعيد ،،،

obeikandl.com

مواسم المغفرة

يأسرك هذا الدين بحسن أحكامه ، ويمتلك قلبك بروعة نظامه ، فهو مبرأٌ من المشقة ، منزه عن العبث ، بعيد عن العنت ، سليم من الحرج ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة : ٦] ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج : ٧٨].

فالمتأمل فيه يجد أمراً عجباً ، والمتفقه فيه يزداد به فرحاً ، ويمتلىء به سروراً ، اتصف مشرعه بالعفو ، وبنيت أحكامه على الرفق ، أقيمت دعائمه على اللطف ، وأسست قواعده على الرحمة ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف : ١٥٦] ولما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده « سبقت رحمتي غضبي » فالله جل وعلا أرحم الراحمين ، والكتاب الذي أنزله ﴿ هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام : ١٥٧] ، والنبي الذي أرسله ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨] ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء : ١٠٧].

إن الله تعالى بلطفه وعفوه ، وجوده وكرمه ، وفضله وإحسانه ، هيأ لعباده مواسم الطاعة ، وميادين العبادة ، وأفانين البر ، ودروب الإحسان ؛ فهو لا يريد لعباده العذاب ، ولا يحب لهم أن يدخلوا النار ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً﴾ [النساء : ١٤٧].

ولعلمه جل وعلا بضعف الإنسان وجهله ، وغفلته وتفريطه ، هيأ له

أبواباً للخير كثيرة ، وطرقاً للبر عظيمة ، وأسباباً للمغفرة متعددة . جعل أبواباً للتوبة مشرعة ، ويسر للجنة طرقاً واسعة ، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل قال تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ** ﴾ [الشورى : ٢٥] .

عَفوٌ يحب العفو، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود، نادى عباده المسرفين على أنفسهم نداءً يفيض بالرحمة ، ويشرق بالأمل ، ويتلألأ بالعفو ، فقال سبحانه : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر : ٥٣] ، وقال في الحديث القدسي : « يا بن آدم : لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي » [أخرجه الترمذي] ، فلنتأمل شيئاً من تلك الرحمات المتدفقة والعطايا المتعددة . .

هيأ تعالى لعباده مواسم للخير عظيمة ، تغفر فيها ذنوبهم ، وتكفر فيها سيئاتهم ، وتُرفع فيها درجاتهم ، وتُحط بها خطاياهم ، منها ما هو يومي ، ومنها ما هو أسبوعي ، ومنها ما هو شهري ، ومنها ما هو سنوي ، فاليومي : الصلوات الخمس ، قال تعالى : ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾ [هود: ١١٤] .

وقال ﷺ : « ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة ، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله » [رواه مسلم] ، ويقول ﷺ : « خمس صلوات افترضهن الله عز وجل ، من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن ، وأتم

ركوعهن وسجودهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له» .

[أخرجه أبو داود]

بل الأعجب من ذلك ، والأعظم مما هنالك ، أن الإنسان قد تغفر ذنوبه وتمحى عيوبه ، قبل أن يدلف إلى الصلاة ، وقبل أن يمثل بين يدي مولاه ، وذلك بالوضوء : «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره» [أخرجه مسلم].

ومن المواسم ما هو أسبوعي ، وذلك يوم الجمعة الذي فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه، يقول ﷺ : «من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام» [أخرجه مسلم].

وأما المواسم الشهرية فمثل صيام أيام الليالي البيض ، قال ﷺ : «صوم ثلاثة أيام من كل شهر ، صوم الدهر كله» [متفق عليه].

وأما المواسم السنوية فكثيرة ، منها ما هو يوم في السنة مثل صوم يوم عرفة ، قال ﷺ حينما سئل عن يوم عرفة : «يكفر السنة الماضية والباقية» ، ومثل صوم يوم عاشوراء الذي سئل عنه النبي ﷺ فقال : «يكفر السنة الماضية» [رواه مسلم].

ومن المواسم السنوية ما يستمر شهراً كاملاً تتنزل فيه الرحمات وتفتح فيه أبواب الجنان وتغلق فيه أبواب النيران ، وتصفد مردة الشياطين «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» [متفق عليه] ،

وجعل فيه عشر ليالٍ هي أعظم ما فيه ، وأعظمها ليلة واحدة هي ليلة القدر فمن أدركها غفر له ، وجعلها خيراً من ألف شهر .

ثم جعل تعالى من المواسم السنوية ما يستمر قرابة الأسبوع وهو حج البيت الحرام ، فمن حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه ، وجعل في شهر ذي الحجة عشرة أيام هي أهم ما فيه وأفضل أيام السنة ، وهي العشر الأول من ذي الحجة ، وجعل أفضلها يوم عرفة ، فمن صامه غفر له السنة الماضية والباقية ، ومن شهده مع الحجيج فقد أشهد الله ملائكته أنه قد غفر لهم .

وهكذا أيها المسلمون لا يزال المؤمن يتنقل من خير إلى خير ، ومن موسم إلى موسم ، ومن فضل إلى فضل ، يتعرض لنفحات الله ، ويستنزل رحماته ، والأعجب من ذلك كله أنه تعالى قد هيأ أموراً أخرى عظيمة ، وطرقاً كثيرة متنوعة في منتهى اليسر ، وفي غاية السهولة ، ليس فيها تعب ، ولا يعتريها نصب ، وليس فيها غياب عن الأهل ، ولا مفارقة للأوطان ، ولا صرف للأموال ، بل هي في متناول اليد ، وأقرب من شراك النعل ، ومن ذلك : ذكر الله تعالى وتسبيحه وتمجيده وتكبيره وتهليله ، واسمع إلى هذا الحديث لترى لطف المولى ، ونعمة الرب ، ورحمة الرحمن : « من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر » [أخرجه الترمذي].

ويقول ﷺ : « من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر وإن كان قد فر من الزحف » . [أخرجه أبو داود والترمذي]

واستمع إلى حديث تتجلى فيه الرحمة الربانية ، والمغفرة الإلهية ، يقول ﷺ : «إن الله عز وجل كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك ؛ فمن هَمَّ بحسنةٍ ولم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هَمَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، فإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة ، ولا يهلك على الله إلا هالك» [صحيح الجامع]، فيا له من أجر عظيم ، وعطاء كريم ، مكفرات قد أشرعت أبوابها ، ويسرت أسبابها ، فأين طلابها ؟!! .

obeikandl.com

obeikandl.com

الحـــــج

الحج .. تركُ الديار ، وفراقُ الأهل ، وهجرُ الأحبة ، وامتثالُ الأمر ، وتلبيةُ النداء ، قال تعالى : ﴿ **وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ﴾ [الحج : ٢٧].

الحج .. رحلةٌ للطاعة ، وقصدٌ للكريم ، وقدومٌ على بيت المنعم ، وسفرٌ للمغفرة « من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمُّه » [أخرجه البخاري].

الحج .. تجديدٌ للعهد ، واتفاقٌ على الميثاق ، وانطراحٌ لعلام الغيوب ، وتصفيةٌ للقلوب وغسلٌ للذنوب .

الحج .. طرحُ الزينة ، وارتداءُ الكفن ، وتذكرُ الرحيل ، وإظهارُ المسكنة ، وتوحيدُ الزي ، وبياضُ الملبس ، والمنهج والرسالة ، وشعثُ الخدمة ، وغبارُ المشقة والتضحية ، وظمأُ الكبد لماء الحوض ، واشتياقُ القلب لمعاهد الوحي ، واللهجُ بذكر الواحد الأحد ﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا** ﴾ [البقرة : ٢٠٠].

الحج .. تصميمٌ على مواصلة السير ، وتجديدٌ للنشاط ، وإعلانٌ لانتصار الحق على الباطل ، والرشاد على الغي ، والصواب على الخطأ والألفة على الفرقة ، والوحدة على الشتات ، قال تعالى : ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾ [آل عمران : ١٠٣].

الحج .. دورانٌ حول الرمز الخالد ، والمثل الحية ، واستجداءٌ مُلِحٌّ للكريم جل في علاه ، وتكرارٌ للطلب ، والتفاتٌ إلى بيت الجواد المنان وإعلانٌ للشكر ، وتقديمٌ للقرابين ، ﴿**فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ**﴾ [الحج : ٣٦].

الحج .. حيث تساوي الرؤوس ، وتخفيضُ الجماجم ، وإزهاقُ النعرات وقتلُ الكبرياء ، «كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا أسود على أبيض إلا بالتقوى» .[مسند أحمد : ٥/٤١١]

الحج .. قذفُ الباطل ، ورجمُ الضلال ، وسحقُ الغواية ، والنضالُ المسلح أمام الطغيان ، ومنازلة إبليس ، وإرغام الشيطان ، قال ﷺ : «ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفه» [أخرجه مالك في الموطأ].

الحج .. تضامنٌ مع إبراهيم عليه السلام ، وتجديدٌ للتوحيد ، ﴿**وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا**﴾ [الحج : ٢٦].

الحج .. حرب على الكفر ، وبراءة من الشرك ﴿**وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى**

النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة : ٣] ، وهو تجديد لملّة إمام الموحدين ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج : ٧٨].

الحج .. تمرين على الطاعة المطلقة ، وامتثال للأمر المجرد « والله إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك » [أخرجه الشيخان].

في الحج يتجلى التوحيد الخالص (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ..) ، ويقول ﷺ : « أفضل الدعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له » [أخرجه مالك في الموطأ].

وكان من أكثر دعائه ﷺ يوم عرفة قوله : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» ، وهو بذلك يريد أن يؤصل هذا المبدأ ويرسخ هذه العقيدة .

قيل لسفيان بن عيينة : لماذا كان الدعاء يوم عرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وهي ثناء وليست بدعاء؟ ، فقال للسائل : أما سمعت الشاعر يقول :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني
حِباؤك إن شيمتك الحِباءُ
خليل لا يغيره صباح
عن الخلق الجميل ولا مساء

إذا أثنى عليك المرء يوماً
كفاه من تعرضه الثناء

هذا للمخلوق فكيف بالخالق ؟!!

إن الإسلام دين التوحيد الخالص ، فلا وسائط ، ولا مظاهر ، ولا صور ولا أصنام ، ولا هياكل ، ولا طبقة كهان ، ولا سدنة ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ [البقرة : ١٨٦] ، ﴿ **فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾ [الزمر : ٢].

الإسلام دين يطلب تجرداً في الخيال ، وسمواً في الفكرة ، ونقاءً في الإرادة ، وصفاءً في النية ، وإخلاصاً في العمل والتطبيق ، وانقطاعاً عن الآخرين ، ولكن الفطرة البشرية هي الفطرة البشرية . والإنسان ما زال ولا يزال باحثاً عن شيء يراه بعينه فيوجه إليه أشواقه ويضيء به حنينه ، ويشبع به رغبته الملحة في التعظيم والإجلال ، والتقرب والدنو ، فالإنسان ليس عقلاً مجرداً ، ولا كائناً جامداً ، إنه عقلٌ وقلب ، وإيمان وعاطفة ، وطاعة وخضوع ، وحب وحنان ﴿ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾ [المائدة : ٥٤] ، ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

وقد اختار الله تعالى أموراً ظاهرة محسوسة ، اختُصت به ونسبت إليه ، وتجلت عليها رحمته ، وحفت بها عنايته ؛ بحيث إذا رؤيت ذُكر الله ، وارتبطت بها وقائع وحوادث ، وقصص وأخبار ، وتضحيات

ومشاهد ، وأحوالٌ تذكر بأيام الله وآلائه ، ودينه وتوحيده ، وحسن بلاء أنبيائه ، ونصرته لأوليائه ، وسمّاها (شعائر الله) ، وجعل تعظيمها تعظيماً له ، والتفريط فيها تفريطاً في جنبه . وسمح للناس أن يقضوا بها حنينهم الكامن في نفوسهم ، وشوقهم المتغلغل في أعماقهم ، ورغبتهم الفطرية في الدنو والقرب والمشاهدة بل حث على ذلك ودعا إليه ، فقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج : ٣٢] ، وقال : ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ [الحج : ٣٠].

لقد كان المسلم في حاجة إلى غذاء للقلب ، وزاد للعاطفة ، وترويح للروح ، وحاجة إلى أن يقضي شوقه ، ويروي غلّته مرة بعد مرة ، وفترة بعد فترة ؛ فكان البيت العتيق وما حوله من شعائر الله ، والحجُ وما فيه من مناسك خير ما يحقق رغبته ، ويسلي حنانه ، ويرضي عاطفته ، ويروي ظمأه .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٣٦] .

فأصبح هذا البيت مركزاً للهداية والإرشاد ، والإشعاع الروحي ، والغذاء العاطفي ، تقام حوله المناسك ، وتغذى به العاطفة ، وتشعل به

مجامر القلوب ، ويجتمع حوله العالم الإسلامي كل عام ، يؤدي خراج الطاعة ، وضريبة الحب والانقياد ، ويثبت تمسكه بهذا الحبل المتين ، ولجوءه إلى هذا الركن الركين .

وإن هذا البيت الذي يطوف حوله أعظم العلماء والعقلاء ، والزعماء والعظماء ، والملوك والأمراء ، والأغنياء والفقراء ، في حب وتشوق ، وفقه وحكمة ، وتواضع وخضوع ، وذل وانكسار ، ونسك وعبادة ، وإيمان وعقيدة ، وهتافهم جميعاً (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) ، تنتصر فيه الأخوة الإسلامية ، والرابطة الإيمانية على القومية الوطنية ، والعنصرية الجاهلية ، فتتجرد جميع الشعوب الإسلامية عن ملابسها وأزيائها الإقليمية ، وتظهر كلها في مظهر واحد ، ولباس واحد ، حاسرة رؤوسها ، متناسية لحظوظها ، ما بين رئيس ومرؤوس ، وصغير وكبير ، وغني وفقير ، وأبيض وأسود ، وعربي وأعجمي . وسبحان الواحد الأحد الذي لا تشتبه عليه الأصوات ، ولا تختلف عليه اللغات ، تقف الملايين في صعيد واحد تدعوه وترجوه وتناجيه ، بما يربو على ثلاثمائة وخمسين لغة ، فيعرف لغاتها ، ويسمع دعواتها ، ويلبي حاجاتها ، ويعلم نبرات أصواتها . هكذا تجتمع هذه الجنسيات المختلفة ، والألوان المتباينة ، واللغات المتعددة على صعيد واحد تعبد رباً واحداً ، وتهتف بهتاف واحد وتتبع نبياً واحداً ﷺ ، قال تعالى : ﴿ **وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا** ﴾ [آل عمران : ١٠٣].

يقول أحد كتاب النصارى المبشرين : «سيظل الإسلام صخرةً عاتية تتحطم عليها سفن التبشير المسيحي ما دام للإسلام هذه الدعائم وهي : القرآن ، واجتماع الجمعة الأسبوعي ، ومؤتمر الحج السنوي» .

فيا الله ما أسعد أمة الإسلام لو تحققت لها هذه الأخوة كما يجب وتعلقت بروابط المودة ، وتدثرت برداء المحبة!! ، ولكن مع الأسف لم يبق لها إلا وحدة اللباس ، ووحدة الهتاف ، واتفاق المظهر ، أما القلوب متباينة ، أما الأفئدة متباعدة ، أما الأرواح متنافرة ، غيروا ما بأنفسهم من صدقٍ وإخلاص ، وإيمان وتضحية ، فغيّر الله عليهم ، وبدلهم بجنة الحب نار البغضاء ، وبروعة الأخوة ظلام الشتات ، وبحلاوة الوحدة مرارة الفرقة قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [الرعد : ١١].

حج ﷺ بحوالي مائة ألف مسلم كلهم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، كانوا يتسابقون لطاعته ، ويأتمرون بأمره ، وينتهون لنهيه ، بل يقتتلون للحصول على ذرة من ذرات جسمه ، وشعرة من شعرات رأسه . الجنة محط آمالهم ، والإخلاص قائدهم ، والتوحيد رائدهم ، والأخوة الصادقة عنوانهم ، والإيثار والمودة شعارهم ، فنالوا رفعة الدنيا والآخرة ؛ غيروا وجه التاريخ ، حطموا حصون الشرك ، اقتلعوا قلاع الكفر ، اجتثوا جذور الباطل ، كسّروا ظهور الأكاسرة ، قصروا أموال القياصرة ، ثم جئنا نحن وأتينا بدلاً عن الواحد بألف ، وبدلاً عن المائة بمليونين ، هذا في الحج فقط .

والناس ألف منهم كواحد
وواحد كالألف إن أمر عنى

لبسنا اللباس نفسه ، ووقفنا الموقف نفسه ، ورددنا العبارات نفسها ولكن القوم غير القوم ، والقلوب غير القلوب ، والنوايا غير النوايا ، والتوحيد غير التوحيد ،

أولئك آبائي فجئني بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجامع

فلم يهتز لأجلنا ذرةٌ من جسم الطاغوت ، وما تحركت شعرة من رأس الكفر ، وما رجف فؤاد من أفئدة الباطل « أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل » [رواه أبو داود] .

هل وقفنا مع أنفسنا وقفة للحساب ، هل فتشنا في حنايا أفئدتنا عن أسباب الخلل ، ودواعي الفشل ، لو عرضنا أنفسنا على هدي المصطفى ﷺ في حجة الوداع فقط ، وتأملنا ما فاض به فؤاده ، ونطق به لسانه ، لعرفنا موقفنا من الإسلام ، وحددنا مكاننا من الإيمان ، وأدركنا هواننا على الرحمن . ندّعي أننا نقتفي أثره ، ونتبع سنته ، ونحذو حذوه ؛ فهل صدقنا في ذلك ، وهل امتثلنا ما قاله هنالك؟؟ أصّل بأقواله وأفعاله حقيقة التوحيد الخالص والإذعان الكامل لله تعالى ، فهل تحقق ذلك في حياة كثير من المسلمين؟ .

بين لنا في يوم عرفة أن دماءنا وأموالنا وأعراضنا علينا حرام « كحرمة

يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا» [رواه مسلم] ، فهل حَقّنا دماءنا؟ وهل حفظ بعضنا أعراض بعض الحسية والمعنوية؟ وهل حفظ بعضنا أموال بعض؟! .. وضع أمر الجاهلية تحت قدميه من دماء وعصبية وقبلية فوضعناها نحن على رؤوسنا ، قال : «كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى» ، فجعلنا مقياس المفاضلة هو الجنس واللون والدم والقبيلة ، وأسدلنا الستار على ميزان التقوى ، والتفاضل على أساس الإيمان ، إلا من رحم الله .

أمرنا بالقيام بحقوق نسائنا وأوصانا بهن خيراً ، وأمر نساءنا بالقيام بحقوقنا ، فضيع الرجال حقوق زوجاتهم ، وضيع النساء حقوق أزواجهن أخبرنا أنه ترك بيننا ما لا نضل بعده أبداً إن اعتصمنا به وهو : كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، ففرطنا في الكتاب وهجرناه ، وتركنا هدي النبي ونسيناه . حذرنا من الرجوع بعده كفاراً يضرب بعضنا رقاب بعض ، فضرب بعضنا رقاب بعض ، وأعملنا السيف في ذواتنا ، وغرسنا رماحنا في أفئدتنا . حذرنا من الربا ولعن آكله وموكله وكاتبه وشاهديه فغرقنا في الربا إلى آذاننا ، إلا من رحم الله ، أمرنا أن نؤدي الأمانات إلى من ائتمننا ، فهل أدينا أمانة ربنا وأمانة ديننا وأمانة نبينا وأمانة إخواننا المسلمين كما يجب ؟ أخبرنا أن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضنا ، فأعدنا للشيطان الفرصة ، وفتحنا له أبواب الأمل على مصاريعها .

أيها المسلمون .. تلك هي بعض كلماته الناصعة ، ووصاياه الرائعة ، ونصائحه الخالدة ، هذه خلاصة دينه ، وزبدة دعوته ، وركائز منهجه ،

أعلنها في حجة الوداع ، فهل تمثلناها وهل وعيناها؟ إننا إذا عرفنا أين نحن منها فقد عرفنا أين نحن من الإسلام ، وأين نحن من طاعة الملك العلام ، وأين نحن من منهجه عليه الصلاة والسلام ، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد . فماذا كانت نتيجة البعد عن هدي المصطفى ، والجهل بحقيقة الدين ، والغفلة عن أسرار الحج ، والتعامي عن إدراك مقاصده؟ ، تكالب علينا الأعداء ، وتداعت علينا الأمم كما يتداعى الأكلة إلى قصعتهم ، ذهبت عزتنا ، أهينت كرامتنا ، خفت صوتنا ، غزيت بلادنا ، خطفت مقدساتنا ، هتكت أعراضنا ، مزقت أجسادنا ، وزرعت الفرقة في صفوفنا ، وعمرت بالشحناء قلوبنا ، وفقدنا حلاوة ديننا ، ونسينا الله فأنسانا أنفسنا ، وتنازعنا ففشلنا ، وذهبت ريحنا ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

أيها الحجاج . . والله الذي لا إله غيره لو أننا عاهدنا ربنا وألزمنا أنفسنا بالأخذ بما في خطبة الوداع لتغيرت الحال ، وحسن المآل ، وأفلحنا ونجحنا ، وفزنا وربحنا . اللهم إننا نشكو إليك ضعف قوتنا ، وقلة حيلتنا وهواننا على الناس وأنت أرحم الراحمين ، أنت ربنا ورب المستضعفين اللهم إننا نعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل علينا غضبك ، أو أن ينزل بنا سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله ،،، .

وداع العـــام

وهكذا يسدل الستار على عام هجري كامل ، وجزء كبير من العمر ووقت طويل من الزمن ، مضى بآماله وآلامه ، وحسناته وسيئاته ، وأفراحه وأتراحه . وكلٌ غائب قد يعود ، وكلٌ مفقود قد يسترد ، وكلٌ ذاهب قد يُسترجع إلا العمر المنصرم ، والزمن المنقضي ، والوقت الغائب .

إن هذا العام المنصرم جزءٌ من أعمارنا ، ونقصٌ من آجالنا : « يا بن آدم إنما أنت أيام كلما ذهب يومك ذهب بعضك » هكذا كان فهم العارفين ، وديدن المتقين ، أيقنوا أن أعمارهم مراحل إلى الآخرة ، وأيامهم مطايا إلى الباقية . كان بعضهم إذا غربت الشمس من كل يوم جلس عند باب داره يبكي ، فيسأل عن سبب بكائه ، ويناقش في مثير نحيبه ، فيقول : « قطعت يوماً من حياتي إلى الدار الآخرة ، ولا أدري أهي خطوات إلى الجنة أم أنها خطوات إلى النار » . فكم من خطوات مشيناها ، ومراحل قطعناها ، وأوقات صرفناها ، ومع ذلك فإحساسنا بالزمن غريب ، والتأمل فيه عجيب ، فما كأنه العمر الذي مضى ، والوقت الذي انقضى إلا لحظاتٌ يسيرةٌ ، وأيام معدودة ، بينما هي آلاف الأيام ، وعشرات السنين وهكذا الإحساس بالزمن مهما طالت مدته ، وعظمت فترته ، حتى في يوم القيامة : ﴿ **قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ**

﴿يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ [المؤمنون : ١١٣] .

إن قطار الزمن يمضي بسرعته الفائقة ، وحركته الدائمة ، لا يتوقف عند أحد ، ولا يحابي أحداً ، ولكن إذا نحن غفلنا عن أيامنا الخالية ، وأعمارنا الماضية ، ونسينا ما عملنا ، وغفلنا عما أودعنا ، فالله تعالى لا يغفل ولا ينسى ، الأنفاس معدودة ، والأعمال مرصودة ، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة : ٦] .

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤] .

والإنسان محاطٌ من عدة جهات ، ومحاصرٌ بآكد البينات ، محاصر من قبل الملائكة الكرام الكاتبين ، الذين يكتبون أعماله ، ويرصدون أحواله : ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ [ق : ١٨] ومحاصر من الأرض التي يمشي عليها ، ويسكن فيها . هذه الأرض التي أخلدنا إليها ، واطمئننا بها ، ووهبناها حبنا ، وأمهرناها عمرنا ، لا نسلم من شهادتها علينا ، ومجابهتها بما لدينا ، وقد أثبت العلم أن الأرض تحتفظ بصورة لكل ما يجري على ظهرها ، وذلك معروف لدينا ، ومعلوم في ديننا ، قال تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ .

ومحاصر الإنسان من نفسه ، ومشهود عليه من ذاته ، هذه الأنفس التي أشبعنا رغباتها ، وأسلمنا لها زمامها ، تلهو بما تشاء ، وتفعل ما تشاء ، هذه الجوارح التي ننقاد لهواها ، ونتبع رضاها ، ونعطيها مبتغاها

، تنطق بالفضائح ، وتخبر بالقبائح ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يس : ٦٥] .

ويقول جل وعلا : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾ .

[فصلت : ٢٠ - ٢٤]

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كنا عند رسول الله ﷺ فضحك ، فقال : « هل تدرون ممّ أضحك؟ » ، قلنا الله ورسوله أعلم قال : « من مخاطبة العبد ربه ، يقول : يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال : يقول : بلى . قال : فيقول : إني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني . قال فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا ، وبالكرام الكاتبين شهودا . قال فيختم على فيه ، فيقال لأركانه : انطقي ، قال: فتنطق بأعماله ، قال : ثم يُخلّى بينه وبين الكلام . قال : فيقول: بعداً لكنّ وسحقاً ، فعنكنّ كنت أناضل »

[مسلم : ٢٩٦٩] .

فالمرء محاصر من جميع جهاته ، مسؤول عن كل أوقاته ، سيواجه بما أودع في أعوامه ، ويفاجأ بدقائق أيامه : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران: ٣٠].

كم مضى اليوم تلو اليوم ، والأسبوع بعد الأسبوع ، والشهر خلف الشهر ، والسنة في إثر السنة ، وكثير من الناس سادر في غفلته ، مُفْرط في شروده ، مُغْرق في جحوده ، لا عقل يتدبر ، ولا فكر يتأمل ، ولا نفس تُردع ، ولا هوى يُمنع ، لم يعتبر بمرور الأيام ، ولم يتعظ بتعاقب الشهور والأعوام ، ما استغفر ولا تاب ، ولا اتسم بسمات أولي الألباب ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ** ﴾ .

[آل عمران : ١٩٠]

غافل عن الاعتبار ، مخالف لأولي الأبصار ، ﴿ **يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ** ﴾ [النور : ٤٤] ، يبدو القمر صغيراً ثم ينمو ويكبر حتى يكتمل ، ثم يبدأ في النقص حتى يمحق ، وهكذا عمر الإنسان ، والشمس تطلع ثم تغيب ، والنهار يقبل ثم يدبر ، إشارة إلى أنه لكل شيء ختام ، ولكل بداية نهاية ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾ [الرحمن : ٢٧] .

يقول ابن عمر رضي الله عنه أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » . [رواه البخاري]

وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول : « إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك » [البخاري : ٥٩٣٧] .

فالمسلم يجب أن يكون في هذه الدنيا على أحد أمرين ، إما أن

يكون كالغريب الذي لا يشتغل بدار غربته ، فلا يخلد لما فيها ، ولا يركن إليها ، فهي دار لمروره ، ومحطة لعبوره ، وهمه التزود للرجوع إلى وطنه ، وإما أن يكون كالمسافر الذي يتزود لرحيله ، ويمضي في سفره ليله ونهاره ويسير إلى بلد الإقامة .

وهذا الحديث أصل في قصر الأمل ، وأن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطناً ومسكناً فيطمئن فيها ، ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر يهيئ جهازه للرحيل .

ومن وصايا المسيح عليه السلام : «اعبروها ولا تعمروها» ، وروي أنه قال : «من ذا الذي يبني على موج البحر داراً ، تلكم الدنيا فلا تتخذوها قراراً» .

وكان يحيى الرازي يقول : الدنيا خمر الشيطان من سكر منها لم يفق إلا في عسكر الموتى نادماً مع الخاسرين .

كان محمد بن واسع إذا قيل له كيف أصبحت يقول : ما ظنك برجل يرتحل كل يوم مرحلة إلى الآخرة .

وكان أحد السلف يوصي كل يوم بما يوصي به المحتضر عند موته ، وكان يبكي كلما أصبح ، ويبكي كلما أمسى ، فسُئلت امرأته عن بكائه فقالت : يخاف والله إذا أمسى أن لا يصبح ، وإذا أصبح أن لا يمسي .

وصحَّ عنه ﷺ قوله : «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة» [صحيح الجامع : ٦٢٢٢] .

وكان علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول : «أخوف ما أخاف عليكم خصلتان : طول الأمل ، واتباع الهوى» .

بكى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكاءً شديداً في مرض موته ، فسئل عن سبب بكائه ، فقال : «والله ما أبكي على شيءٍ من دنياكم ، ولكني أبكي لبعد المسافة ، وعقبة كؤود ، وأنني في صعود المهبط منه إما إلى الجنة وإما إلى النار» .

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينادي في الناس : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا ، وتأهبوا للعرض الأكبر على الله ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ . [الحاقة : ١٨]

العمر أمانة ، والعلم أمانة، والمال أمانة ، والمرء مسؤول عن ذلك كله .

قال ﷺ : «لا تزول قدما عبدٍ حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن علمه فيم فعل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه» [صحيح الجامع : ٧٣٠٠] .

يا عجباً لأمر كثير من الناس إذا ما أرادو شيئاً من أمر الدنيا بذلوا وتعبوا ، وكدحوا ونصبوا ، لا يتركون سبيلاً إلا سلكوه ، ولا باباً إلا طرقوه ، ولا سبباً إلا بذلوه .

فإذا ما أرادوا جنة عرضها السماوات والأرض ، والنعيم المقيم ، والهناء المستديم ، تكاسلوا وتخاذلوا ، وتهاونوا ، وتقهقروا ، فأين هم من قوله تعالى : ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ [النجم : ٣٩] .

وقولـه – جل وعلا – : ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ .
[الانفطار : ٦]

وقوله جل وعلا : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾
[الحاقة : ٢٤]

عمرتم أيامكم ، وحفظتم أوقاتكم ، وصنتم أعماركم ، فكان هذا جزاءكم .

الحياة فرصة ، والعمر غنيمة ، والصحة والفراغ نعمة ، فأين من يغتنم ذلك ، قال ﷺ : «اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك» [انظر صحيح الجامع : ١٠٧٧] .

وقال الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ابن آدم ، إنما أنت بين مطيتين يوضعانك ، يوضعك النهار إلى الليل ، والليل إلى النهار ، حتى يُسلمانك إلى الآخرة ، فمن أعظم منك يا ابن آدم خطراً ؟! .

ومـــا هذه الأيام إلا مـــراحل
يحث بهـــا داع إلى الموت قـــاصـــدُ

وأعـــجبُ شيءٍ – لو تأملت – أنهـــا
منازل تطوى والمســافـــر قـــاعـــد

وقال داود الطائي : إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي ذلك بهم إلى آخر سفرهم ، فإن استطعت أن تقدم في كل

مرحلة زاداً لما بين يديها ، فافعل ، فإن انقطاع السفر عن قريب ، والأمر أعجل من ذلك ، فتزود لسفرك ، واقض ما أنت قاض من أمرك ، كأنك بالأمر قد بغتك .

وكتب بعض السلف إلى أخٍ له : يا أخي يُخيل لك أنك مقيم ، بل أنت دائب السير ، تُساق مع ذلك سوقاً حثيثاً ، الموت موجه إليك ، والدنيا تُطوى من ورائك ، وما مضى من عمرك ، فليس بكارٍّ عليك حتى يكُر عليك يوم التغابن .

دقــــــات قـلـب المـرء قــــــائـلـة لـه
إن الحـــــــيـــــــاة دقـــــائق وثـوان

قـال بعض الحكمـاء : كيف يفرح بالدنيـا من يومـه يهـدم شـهـره ، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره ، وكيف يفرح من يقوده عمره إلى أجله ، وتقوده حياته إلى موته .

يســـــرُّ المرء مــــا ذهـب الـليــــالي
وكـــــــــــان ذهـابُـهـن لـه ذهـابـا

قـال الحسن : لم يزل الليل والنهـار سـريعين في نقص الأعـمـار ، وتقريب الآجال ، هيهات قد صحبا نوحاً وعاداً وثمود وقروناً بين ذلك كثيراً ، أصبحوا قدموا على ربهم ووردوا على أعمالهم ، وأصبح الليل والنهار غضين جديدين ، لم يُبلهما ما مرا به ، مستعدين لمن بقي بمثل ما أصابا به من مضى .

نسير إلى الآجال في كل لحظة
وأيامنا تُطوى وهُن مراحلُ
ولم أر مثل الموت حقاً كأنه
إذا ما تخطته الأمانيُّ باطلُ
وما أقبح التفريط في زمن الصبا
فكيف به والشيب للرأس شاملُ
ترحل من الدنيا بزاد من التقى
فعمرك أيام وهن قلائلُ

وقال الفضيل بن عياض لرجل : كم أتت عليك ؟ قال : ستون سنة ، قال : فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يُوشك أن تبلغ ، فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقال الفضيل : أتعرف تفسيره تقول : أنا لله عبد وإليه راجع ، فمن علم أنه لله عبد ، وأنه إليه راجع ، فليعلم أنه موقوف ، ومن علم أنه موقوف ، فليعلم أنه مسؤول ، ومن علم أنه مسؤول ، فليعد للسؤال جواباً ، فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال : يسيرة ، قال : ما هي ؟ قال : تُحسن فيما بقي يُغفر لك ما مضى ، فإنك إن أسأت فيما بقي أُخذت بما مضى وبما بقي ، وفي هذا يقول بعضهم :

وإن امرأً قد سار ستين حجة
إلى منهل من ورده لقريب

ولم يفهم مواعظ الزمان من سكن إلى حسن الظن بالأيام .

وقال بكر المزني : إذا أردت أن تنفعك صلاتك فقل : لعلي لا أصلي غيرها ، وهذا مأخوذ مما روي عن النبي ﷺ أنه قال : «صل صلاة مودع» [انظر الصحيحة : ١٩١٤] .

وما أدري وإن أمّلتُ عمراً
لعلي حين أصبح لست أمسي
ألم تر أن كل صباح يوم
وعمرك فيه أقصر منه أمس

فاعملوا في دار مقامكم قبل الرحلة ، وبادروا بذلك قبل الموت ، وحسرات الفوت ، وضيق المضطجع ، وهول المطلع ، والموقف للحساب، والمرور على الصراط .

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا (٦١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان : ٦٢] .

اللهم اجعلنا من المعتبرين المتذكرين الذاكرين الشاكرين العابدين الطائعين الراكعين الساجدين ، وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين ، واجعل هذا العام المقبل عام خير وعزٍّ ونصر للإسلام والمسلمين ، واغفر لنا زللنا وخطأنا وإسرافنا في أمرنا فيما مضى من أيامنا وأعوامنا وأعمارنا ، وتجاوز عن سيئاتنا ، وامح لوثاتنا ، وارفع درجاتنا ، أنت مولانا فنعم المولى ونعم النصير .

قسوة القلب

العقوبات كثيرة ، والابتلاءات عديدة ، والمصائب جمة ، ولكن من أقسى العقوبات أن يبتلى المرء بقلبٍ قاس .

إن قسوة القلب قارعة عظمى، ونازلة كبرى ، وكارثة جلّى ، إذا قسا القلب ضاق الصدر وأظلم الفؤاد ، واستوحشت النفس ، وتكدر الخاطر ، وزاغت الأبصار وضلت الأفكار ، وأظلم الدرب ، وعذب الذنب ، وعصي الرب ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر : ٢٢] .

حينما تنقض الأمة الميثاق ، وتتنكر للهدى ، وتعرض عن الحق ، وتحيد عن النهج ، فمن أعظم عقوباتها لعنة الرب ، وقسوة القلب ، ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة : ١٣] .

وحينما تبتلى أمة من الأمم بالبأساء والضراء ، وتحل بها الكوارث ، وتنزل بها المصائب من الزلازل والمحن ، والحوادث والفتن ، فإن الأولى بها أن تثوب إلى رشدها ، وتعود إلى ربها ، وتراجع إيمانها ، وتصحح مسارها، ترى في الوقائع آية ، وتأخذ مما يحدث عبرة ، وتتضرع إلى المولى ، وتلجأ إلى الخالق ، فإذا ما حدث ذلك صلحت الأمور ، وغفرت

الذنوب ، وفُرِّجت الهموم ، وزالت المخاوف ، وتجلت المخاطر ، أما إذا ازدادت القلوب قسوة ، وامتلأت الأفئدة جفوة ، فإن النتائج مذهلة ، والعقوبات مرعبة ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ** ﴾ [الأنعام : ٤٤] .

قسوة القلب داء قاتل ، ووباء فاتك ، ومصير مظلم . أحسن منتجع للعصيان القلب القاسي ، وأفضل مرتع للشيطان القلب القاسي ، وأبعد القلوب عن الرحمن القلب القاسي ، فهو بغيض إلى الرب ، بعيد من الحق سريع إلى الفسق ، انظر إلى هذا النداء الرباني الماتع ، والتوجيه القرآني الرائع ، نداء يأخذ بالألباب ، ويمتلك الأفئدة ويهز المشاعر : ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ [الحديد : ١٦] . يقول ابن مسعود رضي الله عنه : « والله ما بين إيماننا وبين أن خاطبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنوات » .

وانظر إلى لفتة بديعة ، وإشارة لطيفة ، وفائدة قيمة ، وآية ماثلة في قوله تعالى بعد هذه الآية مباشرة : ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [الحديد : ١٧] ما العلاقة بين الحديث عن خشوع القلب وقسوته ، وبين الحديث عن الأرض وإحيائها بعد الموات؟.

إن الأرض قد تجدب وتقفر فيقل ماؤها ، ويذهب بهاؤها ، ويذوي

رواؤها ، فإذا جاء المطر ، وهمى الغيث ، أزهرت وأثمرت ، وأورقت وأينعت ، واهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، كذلك القلب قد يتكدر صفوه ، ويقل خشوعه ، ويفتر خضوعه ، ولكنه إذا سقي بماء الوحي ، وأسعف برحيق الهدى ، وصقل بعبير الإيمان . ذهبت قسوته وطردت جفوته ، وعادت له رقته وطهره وحيويته ، يقول ﷺ : «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» .

[صحيح الجامع : ٢٤١٥]

إذا خشع القلب خشعت الجوارح ، وإذا قست قست الجوارح ، وإذا صلح صلح كلُّ شيء ، وإذا فسد فسد معه كل شيء ، يقول ﷺ : «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» . [البخاري : ٥٢]

ولقد كان ﷺ يستعيذ بالله من قلب لا يخشع . [مسلم : ٢٧٧٢]

بعض القلوب أشد قسوة من الحجارة ، وأعظم جموداً من الصخور الصماء : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة : ٧٤] .

إن قرب المرء من ربه بقدر حياة الإيمان في قلبه ، وإن المتأمل لأحوال الناس يجد قلوباً قاسية لا يردها إيمان ، ولا تنفعها عبرة ، ولا تستفيد من آية ولا تجديها موعظة ولا يهزها القرآن ، ولا يستهويها الحديث ، ولا

تجد النصيحة إليها مسلكاً ، قست وتحجرت ، وغلظت وجفت ، وأعرضت ونبت ، وتاهت عن الحق ، وعميت عن الدرب ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج : ٤٦] .

وإن لقسوة القلب أسباباً عديدة ، وعوامل كثيرة نذكر طائفةً منها ونلمح إلى جزءٍ منها ، فلنطرد فلول القسوة ، ولنهزم جيوش الجفوة ، ولنهجر أسباب الشقاء .

من أسباب قسوة القلب :

١ - هجر القرآن الكريم :

يقول ﷺ : « اقرأوا القرآن واعملوا به ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به » [صحيح الجامع : ١١٦٨] ، وهجر القرآن الكريم أنواع عدة : هجر التلاوة – هجر التدبر – هجر العمل به – هجر الاستشفاء به .

ليس للقلب أنفع دواءً من القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر : ٢٣] .

وحينما أخذ الصحابة – رضي الله عنهم وأرضاهم – هذا الكتاب بقوة وقرؤوه وتدبروه وعملوا بمقتضاه ، وأصبح لبيوتهم دوي كدوي النحل بالقرآن أثمر في حياتهم ، قويت به الهمم ، وعظمت به العزائم ،

وزكت به النفوس ، وصفت به الأفئدة ، ورقت به القلوب فلم يكن افتتاحاً للمنتديات ، وقراءة على الأموات ، وزينةً على الرفوف .

٢ - التهاون بالذنوب :

كل بني آدم خطّاء وخير الخطائين التوابون ، لا أحد يسلم من الذنب ولا أحد يُعصم من الخطأ – إلا من عصمه الله تعالى – ولكن المؤمن إذا قارف ذنباً أو ارتكب معصية يسارع بالتوبة ، ويبادر بالاستغفار ، وقد ذكر الله تعالى من صفات المتقين : ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [آل عمران : ١٣٥] .

ويقول ﷺ : «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» [صحيح الجامع : ٢٢١٥] .

التهاون بالذنوب سبب أعظم لقسوة القلوب ، يقول ﷺ في حديث رسم صورة فائقة الحسن ، بارعة الجمال ، حلوة اللفظ ، بديعة المعنى : « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ؛ فأيُّ قلب أشربها نكتت فيه نكتةٌ سوداء ، وأيُّ قلب أنكرها نكتت فيه نكتةٌ بيضاء . حتى تصير القلوب على قلبين : على أبيض مثل الصفا فلا تضرُّه فتنة ما دامت السماوات والأرض ، والآخر أسودُ مُرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه» [مسلم : ٤٤] .

كثير من القلوب استمرأت الذنوب ، واستهانت بالمعاصي ، قل

إنكارها ، وضعف إيمانها ، فتلاشت حلاوة الإيمان ، وضعفت غيرتها للرحمن .

٣ - التعلق بالدنيا وحطامها :

فكثير من الناس جل تفكيرهم في الدنيا ، وأغلب حياتهم مع الحطام ينامون على حب الدنيا والتفكير بها ، ويصبحون على ذلك كأنما خلقوا لها ، مجالسهم في الحديث عنها ، ومنتدياتهم لمتابعة أخبارها ، ولقاءاتهم للمشاورة في أمورها ، أصبحت عند كثير من الناس إلهاً يعبد وهدفاً يراد ، ومطمحاً يُسعى إليه ، يقول ﷺ : تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة » [البخاري : ٦٤٣٥] أي هلك طالبها الحريص عليها وعلى جمعها القائم على حفظها حتى غدا عبداً لها ، قال تعالى : ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاد كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ [الحديد : ٢٠] .

يقول ﷺ : « فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » [البخاري : ٤٠١٥] .

٤ - كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى :

قال تعالى : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ** ﴾ [المؤمنون] .

٥ - كثرة الهزل والضحك :

الضحك من دلائل البشر ، وعلامات الأنس ، وأسباب السرور ، ولكنه إذا جاوز حده ، وتعدى طوره ، يقلل هيبة المرء ، ويساعد على قسوة القلب ، يقول ﷺ : « لاتكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » [صحيح الجامع : ٧٤٣٥] .

٦ - الجليس السوء :

الجليس الصالح مكسب عظيم وربح كبير .

أكرم بقوم إذا لا قيتهم عرضاً
أهدوك من نورهم ما ذكَّر الباري
هينون لينون أيسار بنو يُسُرٍ
صِيْد بها ليل حفاظون للجار
لا ينطقون عن الفحشاء إن نطقوا
ولا يمارون إن ماروا بإكثار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم
مثل النجوم التي يسري بها الساري

والجليس السوء خطر محدق ، ونكد مزعج ، فهو كنافخ الكير إما أن تجد منه ريحاً خبيثة وإما أن يحرق ثيابك . كثير من الناس دمرت حياتهم وشقيت أنفسهم ، وشقيت أسرهم بسبب جلساء السوء ورفقاء الضلال وقرناء الباطل .

٧ - عدم حفظ السمع وغض البصر :

استماع الحرام يغطي نور القلب ، ويطمس بصيرة الفؤاد ، ومن أعظم أسباب قسوة القلب إطلاق البصر في النظر المحرم ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ [الإسراء : ٣٦].

وبين النظر والقلب صلة كبيرة ، فإن حُفظ البصر حفظ القلب ، وإذا أطلق العنان للبصر أثر على القلب وبلبل الخاطر ، ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ** ﴾ [النور : ٣٠] .

٨ - عدم بذل المعروف وإطعام الطعام :

مساعدة الناس والرفق بأحوالهم والإحسان إليهم والرحمة بهم تزيد خشوع القلب وتلطف سلوك النفس .

شكا رجل إلى النبي ﷺ قسوة قلبه فقال له : « إن أردت أن تلين قلبك فأطعم المسكين ، وامسح رأس اليتيم » [الصحيحة : ٨٥٤] .

٩ - عدم تذكر الآخرة :

نسيان الآخرة ضياع للمرء ، وظلام للنفس ، وقسوة للقلب ، لو أعمل الإنسان عقله ، وفتح نوافذ قلبه ، لتذكر يوم المعاد ، والقيام لرب العباد ؛ لخشع قلبه ، وسكنت جوارحه ، وخضع فؤاده .

القلوب تقسو حينما تغفل عن يوم القيامة وعن تذكر أهوال الساعة وعن التفكر في القارعة والزلزلة والطامة والصاخة والتغابن ويوم الدين ويوم التناد ويوم الحسرة ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، يوم يبعث ما في

القبور ، ويحصل ما في الصدور ، يوم تزلزل الأرض زلزالها ، وتخرج الأرض أثقالها ، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش ، يوم لا يغني والد عن ولده شيئاً ولا مولود عن والده شيئاً ، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد . .

يوم يحشر الناس حفاة عراة غرلاً ، يوم ينصب الصراط على متن جهنم ، يوم تدنو الشمس من العباد قدر ميل فيبلغ العرق منهم كل مبلغ فمنهم من يبلغ إلى كعبيه ، ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه ، ومنهم من يبلغ إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً .

obeikandl.com

الـــورع

الإيمان مــراتب ، والإســلام درجــات ، والتــقــوى منازل ، والناس متـفـاوتون في ذلك تـفـاوتاً كـبـيراً ، وعلى قـدر ترقي الإنسـان في مـراقي الكمال تكون مرتبته عند ربه جل وعلا وتكون منزلته في الجنة .

وإن من السـهـولة بمكان أن يكون المسلم مصلياً أو صـواماً أو قـواماً أو داعـية أو خطيباً أو معلماً أو حتى عـالماً ، ولكن من الصـعوبة بمكان أن يكون وَرِعَاً ؛ فإن الورع رتبةٌ عزيزةُ المنال ، رفيعةُ المكان ، بعيدة الشأو ، ومتى ما ارتقى الإنسـان إلى مرتبة الورع فقد نال أسمى المراتب ، وتحلى بأجـمل المناقب التي تؤهله لمنزلة النبـيين والصـديقين والشـهـداء ، وإن مـا نلاحظه من قلة البركة ، وفساد الثمرة ، وتردي الأخلاق ، وكثرة الشقاق ، والانكباب على الشهوات ، والتلطخ بالشبهات ، والانـهماك في الملذات ، والتهاون بالذنوب ، وضياع الحقوق ، وفشو الفسوق ، ومظاهر العقوق ؛ لهو نتيجة لغياب مفهوم الورع ، فما الورع؟ وما درجاته؟وما أقسامه؟ وما مظاهره؟ ومن أهله؟ وما ثمرته؟! .

(وَرَعَ) كلمة تدل على الكف عن الشيء والانقباض عنه ، وقيل هو بمعنى التَّحرُّج.

والوَرَع في الشـرع ليس هو الكف عن المحارم ، والتحرُّج منها فقط بل

هو بمعنى الكف عن كثير من المباح والانقباض عن بعض الحلال خشية الوقوع في الحرام .

وقد وردت تعريفات كثيرة للورع ومنها قولهم : الوَرَعُ : ترك ما يريبُك ، ونفي ما يعيبك ، والأخذ بالأوثق ، وحمل النفس على الأشق .

وقيل : هو تجنب الشبهات ، ومراقبة الخطرات .

وقال ابن تيمية – رحمه الله – : هو الورع مما قد تخاف عاقبته .

وقال ابن القيم – رحمه الله – : هو ترك ما يُخشى ضرره في الآخرة .

وقيل : هو عبارة عن ترك التسرع إلى تناول أعراض الدنيا .

وقيل : هو ترك كل شبهة .

وقال يحيى بن معاذ : الورع على وجهين : ورع في الظاهر وورع في الباطن . فورع الظاهر : أن لا يتحرك الإنسان إلا لله ، وورع الباطن : هو أن لا تدخل قلبك سوى الله .

وقال آخر : الورع هو الخروج من كل شبهة ، ومحاسبة النفس في كل طرفة عين .

ياالله ! الخروج من كل شبهة!! ومحاسبة النفس في كل طرفة!! فانظر لهذا التعريف وما سبقه من تعريفات للورع ، ولنعرض أنفسنا وأحوالنا وأعمالنا على مفهوم الورع ، أظنه في وادٍ ونحن في واد – إلا من رحم الله – أين نحن من تجنب الشبهات ، أين نحن من عدم التسرع إلى

تناول أعراض الدنيا ، أين نحن من الإحجام عما يُخشى ضرره ، وتُخاف عاقبته ، وهي تعريفات لها أهميتها البالغة ، ودلالاتها العميقة .

أكثر الناس اليوم يهمه أن يجمع المال ، وأن يصل إلى غرضه ، وأن يحقق مآربه في الدنيا ، أما السؤال عن الحرام والحلال والأجر والإثم والجواز والمنع ، والريبة وعدمها ، فذلك آخر ما يفكر فيه الإنسان إن فكر ولذلك ترى كثيراً من الناس ينساقون وراء معاملات تجارية ، وفرص استثمارية ، وعروض مصرفية ، ومسابقات عجيبة ، ودعوات غريبة دون تريث في الأمر والتفات إلى الشرع وسؤال عن الحكم ، وبعضهم قد امتلأ بطنه ، وعظم رصيده ، وغذي بالحرام جسمه .

أين نحن من قولهم : أن لا يتحرك الإنسان إلا لله، وأن لا يدخل في قلبه سوى الله.

أين نحن من قولهم محاسبة النفس في كل طرفة عين . فمن علم أنه محاسب على مثقال الذرة وجب عليه أن يحاسب نفسه في كل طرفة عين .

ومما مضى من التعريفات يظهر لنا أن الورع هو في البعد عن المحرمات والكف عن الشبهات ، والتخفف من المباحات ، ومحاسبة النفس على كل عمل ، والبعد بها عن كل زلل ، ولكن هنالك نوعاً من أهم أنواع الورع وأعظمها درجة ، وأشدها خطورة ، وهو الورع في المنطق ، والورع في المنطق يدل على سلامة النفس ، وينبئ عن صفاء القلب ، ويدل على

قوة الإيمان ، وإن الورع في المنطق والأقوال أشد وأشق من الورع في الأفعال ، يقول أحد السلف : الورع في المنطق أشد منه في الذهب والفضة .

إن من الناس من يستطيع أن يملك نفسه ويكفها عن الشهوات والشبهات ، ولكنه لا يستطيع أن يسجن لسانه ، ويملك بيانه ، فلا ينطق إلا بخير ، ولا يتكلم إلا بمعروف ، ولا يحدث إلا بصدق وعدل وحق ، لا يخوض فيما لا يعنيه ، ولا ينال مسلماً بما لا يرضيه ، ولا يرمي بريئاً بما ليس فيه ، ولا يتتبع العورات ، ولا يتصيد العثرات ، ولا يشهر بالهفوات فمن وُفِّق إلى الورع في حفظ اللسان فقد بلغ الغاية في مراتب الإيمان .

يقول ﷺ : « وهل يكب الناس على وجوههم إلا حصائدُ ألسنتهم » [صحيح ابن ماجة : ٣٢٢٤] .

ما درجة الورع ؟

درجته عالية ، ورتبته رفيعة ، ومنزلته بعيدة لا يصل إليها إلا الخلّصُ من الناس ، ولا يرتقي إليها إلا الأفذاذ من العباد ، ولذلك تجد أن الذين اشتهروا بالورع على مر التاريخ هم أناس قلائل ، وأفراد أوائل ، وإذا قيل في القرون المفضلة : « لولا سفيان الثوري لمات الورع » فما بالك ببقية القرون . فالورع مرتقىً صعب ، ومرتبة شاقة ، وهو ملاك الدين ، وجوهر التقوى ، وزمام الأمر .

يقول الحسن البصري – رحمه الله – : مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة – أي النفل – .

وقال محمد بن واسع – رحمه الله – : يكفي من الدعاء مع الورع اليسيرُ منه .

وقال حبيب بن أبي ثابت – رحمه الله – : لا يعجبكم كثرةُ صلاةِ امرئ ولا صيامه ، ولكن انظروا إلى ورعه ، فإن كان ورعاً مع ما رزقه الله من العبادة فهو عبد لله حقاً .

تصلي وتصوم وتتلطخ بالشهوات والشبهات ، تصلي وتصوم وتجمع الأموال بكل طريق حلال أو حرام ، تصلي وتصوم وتطلق لسانك في عباد الله ، تصلي وتصوم وتحسد وتحقد وتبغي في الأرض بغير الحق . هذه صفات ليس بينها وبين الورع وفاق ، وليس لها معه عهد ولا ميثاق .

يقول بعض الصحابة – رضي الله عنهم جميعاً – كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام ، وهذا موافق لحديث ضعيف الإسناد صحيح المعنى هو أن النبي ﷺ قال : « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً لما به البأس » [ضعيف ابن ماجة : ٤٩٧٧] .

وقد صح عنه ﷺ قوله : « خير دينكم الورع » [صحيح الجامع : ٣٣٠٨] .

أقسام الورع : قسّم بعض العلماء الورع إلى ثلاثة أقسام وهي :

١ – واجب : وهو الإحجام عن المحارم وذلك للناس كافة .

٢ – مندوب : وهو الوقوف عن الشبهات وذلك للأواسط .

٣ – فضيلة : وهو الكف عن كثير من المباحات والاقتصار على أقل الضرورات وذلك للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

ومظاهر الورع كثيرة جداً ، فالورع يكون في النظر بحفظه عن الحرام وغضه عن الفتن ، ويكون في السمع ، ويكون في اللسان ، ويكون في البطن فلا يأكل أو يشرب إلا ما اطمأن إلى جوازه ونفعه ، ويكون في الفرج بحفظه عما حرّم الله ، ويكون في المشي والسفر ، ويكون في البيع والشراء .

وإليك الآن بعض النمادج الرفيعة لأرباب الورع :

أعظم الناس إيماناً وأكملهم ورعاً محمد ﷺ وهو الذي عاش يبث في نفوس أصحابه مفهوم الورع وعبقاً من حقيقة التقوى بقوله وفعله وسمته وخلقه .

يقول ﷺ : « البر ما سكنت إليه النفس واطمأنَّ إليه القلب ، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب وإن أفتاك المفتون » [صحيح الجامع : ٢٨٨١] ، وهذه الإجابة وذلك التوجيه للإنسان المؤمن ، أما الفاسق والفاجر فإن الإثم لا يحوك في صدره ، بل ربما يتلذذ بالمعاصي ، ويستمتع بالآثام ، وهي متع ظاهرة ، وتلذذ مغشوش ، ولكن المسلم يجد لصدره انفساحاً ، ولفؤاده انشراحاً مع البر ودروبه ، ويجد في صدره ضيقاً ، وفي قلبه حرجاً حين التلبس بالإثم ودواعيه .

ويقول ﷺ : « إنك لن تدع شيئاً اتقاءً لله عز وجل إلا أعطاك الله خيراً منه » [مسند أحمد : ٥/٧٨] .

ويقول ﷺ : « أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا :

حفظ أمانة ، وصدق حديث ، وحسن خليقة ، وعفة في طُعمة » [انظر صحيح الجامع : ٨٧٣] .

ويعطي ﷺ قاعدة عظيمة في الورع ، فيقول : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » [أخرجه أحمد والنسائي] .

وجمع ﷺ الورع كله في كلمة ، فقال : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » [صحيح ابن ماجة : ٣٢٢٦] وترك ما لا يعني كلمة عامة تعم كل شيء ، ترك مـــا لا يعني من الكلام ، ومـــا لا يعني من النظر ، ومن الاستماع ، ومن المشي ، ومن الفكر ، ومن سائر الحركات الظاهرة والباطنة فمن ترك ما لا يعنيه من كل ذلك فقد ارتقى إلى مرتبة أهل الورع .

انظر إلى مـثـال من أصـدق الأمـثلة على الورع في المأكل والمشـرب ، يقول ﷺ : « إني لأنقلب إلى أهلي فأجـد التمـرة ساقطـة على فراشي ثم أرفعها لآكلها ، ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها » [صحيح الجامع : ٢٤٩٧].

وكـان ﷺ يروي لأصـحـابه بعض قـصص الورع لتكون نبـراسـاً لـهـم ، يمضون على نهجها ، ويقتبسون من هديها ، فيقول ﷺ : « اشترى رجل من رجل عـقاراً له فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرّة فيها ذهب . فقال له الذي اشترى العقار خذ ذهبك مني إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذهب ، وقال الذي له الأرض إنما بعتك الأرض وما فيها فتحاكما إلى رجل ، فقال الذي تحاكما إليه : ألكما ولد؟ قال أحدهما : لي غلام ، وقال الآخر : لي جارية ، قال أنكحوا الغلام الجارية

وأنفقوا على أنفسكما منه وتصدقوا» [صحيح الجامع : ٩٨٩] .

ولقد زرع هذا الورع البديع في نفوس أصحابه – رضوان الله عليهم – فساروا على النهج ، واقتفوا الأثر ، واتبعوا القدوة ، تقول عائشة – رضي الله عنها – : «كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج ، وكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام : أتدري ما هذا ؟ فقال أبو بكر : وما هو؟ قال : كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته فأعطاني بذلك هذا الذي أكلت منه فأدخل أبو بكرٍ يده فقاء كل شيءٍ في بطنه» وفي رواية أنه قال : «لو لم تخرج إلا بروحي معها لأخرجتها» .

وهذا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قسّم مروطاً بين نساءٍ من نساء أهل المدينة فبقي منها مرط جيد ، فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين أعط هذا بنت رسول الله ﷺ التي عندك – يريدون أم كلثوم بنت علي – فقال عمر : أم سليط أحق به – وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايعن رسول الله ﷺ – قال عمر : فإنها كانت تُزفِرُ لنا القِرَب يوم أحد» .

الورع يطهر دنس القلب ونجاسته كما يطهر الماء دنس الثوب ونجاسته وهو صون النفس وحفظها وحمايتها عما يشينها ويعيبها ويزري بها عند الله عز وجل وملائكته وعباده المؤمنين وسائر خلقه ، فإن من كرمت عليه نفسه وكبرت عنده صانها وحماها ، وزكّاها وعلاها ، ومن هانت عليه نفسه وصغرت عنده ، ألقاها في الرذائل ، وأطلق عنانها وحل زمامها .

«ذكر ﷺ الرجل أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء : يا رب يا رب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغُذي بالحرام ، فأنى يستجاب له » [انظر صحيح مسلم : ١٠١٥] .

وإن من أراد الوصول إلى درجة الورع فلا بد له من التورع عن كثير من المباح إبقاءً على صيانة النفس وخوفاً عليها أن يتكدر صفوها ويطفأ نورها ، فإن كثيراً من المباح يكدّر صفو الصيانة ويذهب بهجتها ، يقول ابن القيم – رحمه الله – : قال لي شيخ الإسلام ابن تيمية في شيء من المباح : «هذا ينافي المراتب العالية ، وإن لم يكن تركه شرطاً في النجاة» ، فهناك أمور كثيرة مباحة ، ولكن لا تتناسب مع صاحب الهمة العالية ولا تتفق مع ذوي النفوس السامية .

سئل ﷺ عن أفضل الناس فقال : «كل مخموم القلب صدوق اللسان» قالوا صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب؟ ، قال : «هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد» .

[صحيح ابن ماجة : ٣٤١٦]

وإن المؤمن حينما يبتعد عن طرق الحرام ، ومواطن الشبهات ، ويترك كثيراً من الأمور لله جل وعلا وخوفاً من عواقبها فإن الله تعالى يفتح له آفاقاً من الخير ، وآماداً من العطاء ، يقول ﷺ : «إنك لن تدع شيئاً لله عز وجل إلا أبدلك الله به ما هو خير لك منه» [رواه أحمد].

ويقول أبو حامد الغزالي – رحمه الله – : «لن يعدم المتورع عن

الحرام فتوحاً من الحلال» .

ويقول الشافعي – رحمه الله – : «زينة العلم الورع والحلم» .

وقال طاوس – رحمه الله – : «مثل الإسلام كمثل شجرة فأصلها الشهادة وثمرها الورع ولا خير في شجرة لا ثمر لها ، ولا خير في إنسان لا ورع له» .

وقال سفيان الثوري – رحمه الله – : «عليك بالورع يخفف الله حسابك ، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك» .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : «جلساء الله غداً أهل الورع والزهد» .

obeikandl.com

محاسبة النفس

محاسبة النفس طريقة المؤمنين ، وسمة الموحدين ، وعنوان الخاشعين فالمؤمن متّقٍ لربه ، محاسبٌ لنفسه ، مستغفرٌ لذنبه ، يعلم أن النفس خطرها عظيم ، وداؤها وخيم ، ومكرها كبير ، وشرّها مستطير ، فهي أمَّارةٌ بالسوء ، ميَّالةٌ إلى الهوى ، داعيةٌ إلى الجهل ، قائدةٌ إلى الهلاك ، توَّاقةٌ إلى اللهو إلا من رحم ربي ، فلا تترك لهواها لأنها داعية إلى الطغيان من أطاعها قادته إلى القبائح ، ودعته إلى الرذائل ، وخاضت به المكاره ؛ تطلعاتها مريبة ، وغوائلها عجيبة ، ونزعاتها مخيفة ، وشرورها كثيرة ، ولذلك علمنا ﷺ في خطبة الحاجة ، أن نكرر دائماً ، ونردد أبداً قوله : « ونعوذ بالله من شرور أنفسنا » [أخرجه الترمذي والنسائي] .

والناس قسمان : قسم ظفرت به نفسه فملكته وأهلكته وسيَّرته فأرْدَتْه ، وصار طوعاً لها ، وتحت أوامرها .

وقسم ظفر بنفسه ، وانتصر عليها ، وأمسك زِمامها ، وأحكم لجامها فقد أفلح وأنجح .

ومن ظفرت به نفسه فسارت به على هواها ، ومشت به في رضاها ، فقد خسر وهلك . والنفس راغبة إذا رغَّبتها ، وإذا تُرد إلى قليل تقنع ..

فمن ترك سلطان النفس حتى طغى ، ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات : ٣٨] .

وقد وصف الله سبحانه النفس في القرآن بثلاثة أوصاف : المطمئنّة ، والأمّارة بالسوء ، واللوّامة .

فالنفس إذا سكنت إلى الله واطمأنت بذكره ، وأنابت إليه ، وامتثلت أوامره ، واجتنبت نواهيه ، واشتاقت إلى لقائه ، وأنست بقربه ، فهي مطمئنة ، وهي التي يقال لها عند الوفاة : ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ .

[الفجر : ٢٧]

وإذا كانت النفس بضد ذلك فهي أمَّارة بالسوء ، تأمر صاحبها بما تهواه من شهوات الغي ، ودروب الردى ، واتباع الباطل .

وأما النفس اللوامة فقد قيل هي التي تندم على ما فات ، وتلوم عليه قال عطاء عن ابن عباس : « كل نفس تلوم نفسها يوم القيامة ، تلوم المحسنَ نفسُه أن لا يكون ازداد إحساناً ، وتلوم المسيءَ نفسُه أن لا يكون رجع عن إساءته » .

وقال الحسن – رحمه الله – : « إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه على كل حالاته يستقصرها في كل ما يفعل ، فيندم ويلوم نفسه ، وإن الفاجر ليمضي قدماً لا يعاتب نفسه » . فيجب أن يكون المؤمن محاسباً

لنفسه متهماً لها ، لائماً على تقصيرها .

يقول الله جل وعلا : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [الحشر : ١٨] .

فهذه الآية دليل على وجود محاسبة النفس ، والنظر في أحوالها ، والمتابعة لأعمالها .

يقول ابن كثير – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ** ﴾ [الحشر : ١٨] : « أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وانظروا ماذا ادَّخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم ، واعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم لا تخفى عليه منكم خافية » .

وقد أقسم الله تعالى بالنفس ، وذكرَها مع يوم القيامة دلالةً على أهميتها ومنزلتها ، وبياناً لضرورة المحاسبة وأهميتها ، فقال تعالى : ﴿ **لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ** ﴾ [القيامة : ٢] .

وقال تعالى : ﴿ **بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ** ﴾ [القيامة : ١٥] ، فالإنسان بصير بعيوب نفسه ، عالم بدخائلها ، ولو تظاهر بالأعذار وجادل عن نفسه ، فلن ينفعه ذلك يوم القيامة ، وهذا إشارة إلى ضرورة الرجوع إلى النفس ومحاسبتها ، وإصلاح عيوبها قبل فوات الأوان .

وروي عنه ﷺ قوله : « الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » [أخرجه الترمذي] .

ولقد كان السلف رضي الله عنهم وأرضاهم أشدَّ الناس محاسبةً لأنفسهم ، واتهاماً لها ، واعترافاً بتقصيرها وجهلها ، مع ما كانوا عليه من الدين القويم ، والصراط المستقيم ، والقدر العظيم ؛ أعمال عظيمة وأخلاق كريمة ، ونفوس مستقيمة ؛ هدى وصلاح ، جهاد وكفاح ، بذل وعمل ، جود وكرم ، بكاء وندم ، سهر وألم ، مسارعة إلى الخيرات ، منافسة في الطاعات ، صفاء في النيات ، ومع ذلك كله لم يدلّو بأعمالهم ، ولم يُعجبوا بأحوالهم ، أو يُباهوا بأفعالهم ، بل اتهموا أنفسهم بالتقصير ، وكانوا في غاية الخوف والوجل من العلي القدير ، وعلى رأسهم البشير النذير ﷺ ، الذي أخبر أنه لن يدخل الجنة أحد بعمله حتى هو ﷺ إلا أن يتغمده الله برحمته . وهو الذي قام حتى تفطرت قدماه ، وكان يبكي حتى تَبُلَّ دموعُه الثرى ، وكان يتوب إلى الله في اليوم مائة مرة ، ويُعد له وهو يستغفر لربه في المجلس الواحد أكثر من سبعين مرة . ولكن الإنسان يعجب حينما يتأمل أحوال كثير من الناس ، أعمال قليلة ، وطاعات متهالكة ، وأحوال مُزرية ، ومع ذلك لا حساب ، ولا عتاب ، ولاندم ، ولا ألم ، ولا خشية ، ولا وجل!.

ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه حينما يقف مع نفسه وقفة محاسبة دقيقة صرخ قائلاً : « يا ليتني كنت شجرةً تُعضد » .

وذاك عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يخشى على نفسه أن يكون من المنافقين ، وكان يقول : « والله لوددت أن أنجو يوم القيامة كفافاً لا عليّ ولا ليَ » ، وكان يقول : « لو نادى مناد يوم القيامة كل الناس يدخلون

الجنة إلا واحداً لخشيت أن أكون أنا» .

قال رضي الله عنه : «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ، وتزيّنوا للعرض الأكبر يومئذٍ تُعرضون لا تخفى منكم خافية» .

وكتب رضي الله عنه إلى أحد عُمَّاله : «أن حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدّة ، فإنه من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة عاد مرْجِعُه إلى الرضا والغبطة ، ومن ألهته حياتُه وشغلَتْهُ أهواؤه عاد أمرُهُ إلى الندامة والحسرة» .

ويقول الحسن البصري – رحمه الله – : «لا تلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه ، ماذا أردْتُ بكلمتي؟ ماذا أردْتُ بأكلتي؟ ماذا أردْتُ بشربتي؟» ، ويقول : «إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت المحاسبة من همَّته» .

ويقول : «المؤمن قوّام على نفسه يحاسب نفسه لله ، وإنما خفَّ الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، وإنما شقَّ الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ، إن المؤمن يفاجئه الشيء ويعجبه ، فيقول : والله إني لأشتهيك ، وإنك لمن حاجتي ولكن والله ما من صلة إليك ، هيهات هيهات حيل بيني وبينك» .

إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته ، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله ، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه ، وفي بصره ، وفي لسانه ،

وفي جوارحه .

ويقول مالك بن دينار – رحمه الله – : « رحم الله عبداً قال لنفسه : ألستِ صاحبةَ كذا؟ ألست صاحبة كذا؟ ثم زمَّها ، ثم خَطَمها ، ثم ألزمها كتاب الله – عز وجل – فكان لها قائداً » .

وقال إبراهيم التيمي : « مَثّلْتُ نفسي في الجنة آكل من ثمارها ، وأشرب من أنهارها ، وأعانق أبكارها ، ثم مثّلت نفسي في النار ، آكل من زقومها ، وأشرب من صديدها ، وأعالج سلاسلها وأغلالها ، ثم قلت لنفسي : يا نفس أيَّ شيء تريدين؟ قالت : أريد أن أُرَدّ إلى الدنيا فأعمل صالحاً ، قال : فأنت في الأمنية فاعملي » .

بل لقد وصل الحال ببعضهم إلى أن اتخذ في داره قبراً ينزل فيه ويغلق على نفسه ، ثم ينادي ويبكي ﴿ **رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ** ﴾ [المؤمنون :٩٩] ، ثم يخرج من القبر ويقول لنفسه : قد أُعْطِيتِ رغبتك فاعملي .

وكان الأحنف بن قيس – رحمه الله – في محاسبته لنفسه يُذكّرها نار الآخرة ، فيجيء إلى المصباح فيضع إصبعه فيه حتى يحسّ بالنار ثم يقول لنفسه ، يا حُنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ .

عن وهب بن منبِّه ، قال : مكتوب في حكمة آل داود : حُقَّ على العاقل أن لا يغفُل عن أربع ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة

يحاسب فيها نفسه ، وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه ، وساعة يخلو فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحلُّ ويُحْمد ، فإن في هذه الساعة عوْناً على تلك الساعات ، وإجماماً للقُلُوب .

قال أبو حامد الغزالي – رحمه الله – عَرف أرباب البصائر من جملة العبادات أن الله تعالى لهم بالمرصاد ، وأنهم سَيُناقشون في الحساب ، ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات ، وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة ، وصدق المراقبة ، ومطالبة النفس في الأنفاس والحركات ، ومحاسبتها في الخطرات واللحظات ، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خفَّ في القيامة حسابه ، وحضر عند السؤال جوابه ، وحسن منقلبه ومآبه . ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته ، وطالت في عرصات القيامة وقفاته ، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته ، فلمَّا انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه إلا طاعة الله ، وقد أمرهم بالصبر والمرابطة ، فقال عز من قائل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا** ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] فرابطوا أنفسهم أولاً بالمشارطة ، ثم بالمراقبة ، ثم بالمحاسبة ، ثم بالمعاتبة ، ثم بالمجاهدة .

وقال بكرُ بن عبد الله المزني – الذي كان آية في التقوى والصلاح – : « لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أني كنت فيهم » .

وقال محمد بن واسع – رحمه الله – : « لو كان للذنوب ريح ما قدر

أحد أن يجلس إليّ» .

ويقول ميمون بن مهران : «لا يكون الرجل تقياً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه» .

ويقول ابن القيم – رحمه الله – : «من أحسن الظن بنفسه فهو من أجهل الناس بنفسه» .

هكذا كانوا – رحمهم الله ورضي عنهم – يلومون أنفسهم ، ويبكون تقصيرهم ، ومن لم يتهم نفسه على دوام الأوقات كان مغروراً ، ومن نظر إليها باستحسان فقد أهلكها . فالنعمة العظمى هي في الخروج من حظوظها العاجلة ، والتخلص من رِقّها ، وأعرف الناس بأنفسهم أشد الناس محاسبة لها ، ورقابة عليها ، ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير .

إخوة الإيمان .. محاسبة النفس طريق للنجاح ، وسبب للفلاح ، وأمارة سعادة ، ودليل رشادة ، وهنالك أمور كثيرة تعين على محاسبة النفس وتقوي بواعث الخير فيها ، ومن ذلك :

١ – استشعار رقابة الله على العبد واطلاعه على خفاياه ، وأنه سبحانه لا تخفى عليه خافية قال تعالى : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾ [ق:١٦] ، وقال تعالى : ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ** ﴾ [البقرة : ٢٣٥]

٢ – أن يعلم العبد أنه مسؤول عن كل صغيرة وكبيرة ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ**

ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة : ٧] ، وقال تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر : ٩٣] ، وقال تعالى : ﴿فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأعراف:٧] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء : ٣٦] .

٣ – أن يتذكر الحساب الأكبر يوم القيامة ، وأن يعلم أنه من شدَّد على نفسه في الحساب هنا ، يسَّر الله عليه الحساب هنالك ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران : ٣٠] ، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ .

[الأنبياء : ٤٧]

وقال تعالى ﴿اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر : ٥٨] .

فتذكُّر الموت ، وأهوال القيامة ، يدعو المؤمن إلى محاسبة النفس ، والأخذ بزمامها إلى طريق الخير والفلاح ، يقول ﷺ : مشيراً إلى هذا الأمر : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » [أخرجه البخاري] ، وفي رواية « واعدد نفسك في الموتى » ، وقال رجل لآخر : « أوصني » فقال : « عسكر الموتى ينتظرونك » .

فلنُعِد للسؤال جواباً ، ولنعلم يقيناً أن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل ، ومن تذكر هول المطلع على الله ، حاسب نفسه وأعدّ العدة للقياه .

obeikandl.com

دعـــوةٌ مفتوحـــة

أيها المؤمنون .. لقد ناداكم مولاكم بالصفة المحبَّبة إلى نفوسكم والميزة القريبة من قلوبكم ، وهي صفة الإيمان بالواحد الديّان ، ناداكم بها إلى أمرٍ أحبّه وأحب أهله ودعا إليه ، وأحبه نبيُّه ﷺ وحثَّ عليه فقال جل وعلا : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا** ﴾ [التحريم : ٨] ، وقال : ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور : ٣١] .

وقد أعلن محبته للتائبين ، ومغفرته للمستغفرين ، ورضاه عن المتطهرين فقال : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ [البقرة : ٢٢٢].

وقال جل من قائل : ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى** ﴾ [طه : ٨٢] .

يُحبُّ من عباده أن يعرفوه ويحبوه ، ويخافوه ويتقوه ، ويطيعوه ويتقربوا إليه ، ويحب أن يعلموا أنه لا يغفر الذنوب غيرُه . وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ « أن عبداً أذنب ذنباً فقال : يا ربّ إني عملت ذنباً فاغفر لي ، فقال الله : أعَلِمَ عبدي أن له رباً يغفر الذنب ، ويأخذ به؟ قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء » [رواه البخاري] .

ثم تفكَّر في قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران : ١٣٥] فما أجمل هذه الجملة الاعتراضية ، وهذا الاستفهام الذي يقصد به النفي : ﴿ **وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ أي لا أحد يغفر الذنوب إلا الله ففيه إشارة إلى أن المذنبين ليس لهم من يلجؤون إليه ويعوِّلون عليه في مغفرة ذنوبهم غيره تعالى ، ثم انظر إلى قوله تعالى في حق الثلاثة الذين خُلِّفوا ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [التوبة : ١١٨] ، فرتَّب توبته عليهم ، على ظنهم واعتقادهم الجازم بأنه لا ملجأ من الله إلا إليه ، فالعبد إذا خاف من مخلوقٍ هرب منه وفرّ إلى غيره . وأما من خاف الله فما له من ملجأ يلجأ إليه ، ولا مهرب يهرب إليه إلا هو، فيهرب منه إليه ، وهو – جل وعلا – نعم المولى ونعم النصير، وهو الغفور الرحيم الذي سبقت رحمته غضبه ، وعفوه عقوبته . وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها ، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، وهو غافر الذنب وقابل التوب ، وهو أرحم الراحمين ﴿ **وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً** ﴾ .

[النساء : ٢٧]

انظر إلى عظيم عفوه ، وجميل لطفه ، وواسع فضله ، ووافر جوده ، يعرض التوبة لأعدى أعدائه ، ويدعو إلى مغفرته ألدّ ألدّائه فيقول للذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة ، وقالوا : إن الله هو المسيح عيسى ابن مريم ،

يقول لهم : ﴿ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٧٤] ويقول عن الكفار : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال : ٧٤] ، ويقول عن الكافرين والمنافقين الذين قالوا كلمة الكفر ﴿ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَّهُمْ ﴾ [التوبة : ٣٨] ، فأي فضل إلا فضله! ، وأي عطاء إن لم يكن عطاءه ؟! .

إليـــــه وإلا لا تشـــــدّ الركـــــائبُ
ومنـه وإلا فـــــالمؤمّل خـــــائبُ
وفـــيـــه وإلا فـــالغـــرام مـــضـــيَّعٌ
وعنـه وإلا فـــــالمحـــــدِّث كـــــاذبُ

فإذا كان هذا جوده للبعيد ، فكيف بجوده للقريب؟! ، وإذا كانت تلك رحمته بالمشرك – إذا تاب – فكيف برحمته بالموِّحد ، وجوده وكرمه للمسلم المفرط والمؤمن المقصر؟! ، يناديه نداء المتحبب ويدعوه دعوة المتلطف ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٥٣] ويقول له : « يا عبدي ، وعزتي وجلالي لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي » ، من تقرّب إليه شبراً تقرب إليه ذراعاً ، ومن تقرب إليه ذراعاً تقرب إليه باعاً ، ومن أتاه يمشي أتاه هرولةً ، فالباب مفتوح ولكن من يلج؟! ، والمجال مفسوح ولكن من يُقبِل؟! ، والحبل ممدود ولكن من يتشبث به؟! ، والخير مبذول ولكن من يتعرض له؟! ، فأين الباحثون عن الأرباح ، وأين خطّاب الملاح ، أين عشاق العرائس ، وطلابُ

النفائس؟! .

من أقبل إليه تلقاه من بعيد ، ومن أعرض عنه ناداه من قريب ، ومن ترك من أجله أعطاه فوق المزيد ، ومن أراد رضاه أراد ما يريد ، ومن تصرف بحوله وقوته ألان له الحديد ؛ أهلُ ذكره أهل مجالسه ، وأهل شكره أهل زيادته ، وأهل طاعته أهل كرامته ، وأهل معصيته لا يقنطهم من رحمته ، إن تابوا إليه فهو حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فهو رحيم بهم ، يبتليهم بالمصائب ليطهرهم من المعايب . الحسنة عنده بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة ، والسيئة عنده بواحدة ، فإن ندم عليها واستغفر غفرها له ، يشكر على اليسير من العمل ، ويغفر الكثير من الزلل ، رحمته سبقت غضبه ، وحلمه سبق مؤاخذته ، وعفوه سبق عقوبته . جعل رحمته مائة جزء ، أنزل منها في الدنيا جزءاً واحداً به يتراحم الخلائق فيما بينهم ، حتى إن الدابة ترفع حافرها خشية أن تطأ وليدها ، وادّخر عنده تسعةً وتسعين جزءاً يرحم بها العباد يوم القيامة . من أعظم منه جوداً والخلائق له عاصون ، وهو لهم مراقب؟ يكلؤهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوه ، ويتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوا فيما بينهم وبينه ، يجود بالفضل على العاصي ، ويتفضل على المسيء . من ذا الذي دعاه فلم يلبّه ؟! أم من ذا الذي سأله فلم يعطه؟! ، أم من ذا الذي أناخ ببابه فنحّاه؟! ، له الفضل ، ومنه الفضل ، وهو الجواد ، ومنه الجود ، وهو الكريم ، ومنه الكرم ؛ ومن كرمه أن يغفر للعاصين بعد المعاصي ، ويعطي العبد ما سأله وما لم يسأله ، ومن كرمه أن يعطي

التائب كأنه لم يعصه ، فأين عنه يهرب الخلائق ، وأين عن بابه يتنحَّى العاصون ؟!! .

عباد الله .. كل بني آدم خطّاء وخير الخطائين التوّابون ، وإن الأعمال الجليلة ، والمواسم العظيمة ، تُختَم بالاستغفار والتذلل للجبَّار ، والتوبة للقهَّار ، ليقبل صالح العمل ، ويغفر الخطأ والزلل .

التوبة تودّدٌ لجلال الخالق ، وتذللٌ لعظمة الجبار ، وانطراحٌ على أعتاب المتعال ، وهي من كمال الإيمان ، وحُسْن الإسلام ؛ التوبة حسرة وندم ، بكاء وألم ؛ ندمٌ على التفريط ، واعترافٌ بالتقصير ، وأسفٌ على الماضي ، وتطلعٌ للمستقبل ، وجهادٌ للحاضر .

التوبة غسلُ القلب بماء الدموع وحُرقة الندم ، فهي حرقةٌ في الفؤاد ، ولوعةٌ في النفس ، وانكسارٌ في الخاطر ، ودمعةٌ في العين . إنها مبدأ طريق السالكين ، ورأس مال الفائزين ، وأول أقدام المريدين ، ومفتاح استقامة المائلين . التائب يضرع ويتضرَّع ، ويهتف ويبكي ؛ إذا هدأ العباد لم يهدأ فؤاده ، وإن سكن الخلقُ لم يسكن خوفُه ، وإذا استراحت الخليقة لم يفتر حنين قلبه ، وقام بين يدي ربه بقلبه المحزون ، وفؤاده المغموم ، مُنَكَّسٌ رأسُه ، ومقشعِرٌّ جِلدُه . إذا تذكر عظيم ذنوبه ، وكثير خطئه ، هاجت عليه أحزانه ، واشتعلت حرقات فؤاده ، وأسبل دمعه ؛ فأنفاسه متوهِّجة ، وزفراته بحرق فؤاده مُتصلة ، قد ضمّر نفسه للسباق غداً ، وتخفف من الدنيا لسرعة الممر على جسر جهنم .

قال تعالى : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ .

[مريم : ٧١]

ومن لم يتقطع قلبه في الدنيا على ما فرّط حسرة وخوفاً تقطع قلبه في الآخرة إذا حُقّت الحقائق ، وظهرت الوثائق ، وحضرت الخلائق ، وعاين ثواب المطيعين ، وعقاب العاصين ، ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبا : ٤٠] .

يقول ﷺ : « يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة » [رواه مسلم] ، هذا الذي غُفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه ، ومُحي عنه ما سلف وما خلف من زلل ، يتوب في اليوم مائة مرة ، فكيف بمن تجارته المعاصي ، وبضاعته السيئات ، ثم يتنكر للاستغفار ويتجافى عن التوبة .

فيا من سعيت إلى المغفرة ، احذر أن تتردى في الخطيئة ، ويا من رأيت عزّ الطاعة لا ترض بذل المعصية ، ويا من تذوقت حلاوة الفضيلة إياك والسير في وحل الرذيلة ، ويا من تلذذت بقراءة القرآن ، ومناجاة الرحمن ، احذر أن يستميلك الشيطان ، ويزين لك العصيان فطهر قلبك وبيتك ، وزكِّ نفسك ومالك ، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ . [الشمس : ١٠]

إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل .

هذا إمام التائبين ، وسيد المستغفرين ، وقائد الغرّ المحجلين ﷺ أراد أن يخبرنا عن معنى عظيم ، وخبر كريم ، تعجز العبارات عن نقله ، وتتضاءل الكلمات أمام عظمته ، فقربه إلينا في ثوبٍ قشيب وقدمه لنا في صورة موحية ، وقصة مشجية ، فقال : «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرضٍ فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها – وقد أيس من راحلته – فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح» [رواه مسلم] ، فسبحانه ما أعظمه ، وأكرمه وأرحمه!! .

فالتوبة هروب من المعصية إلى الطاعة ، ومن السيئة إلى الحسنة ، ومن وحشة العصيان إلى الأنس بالرحمن ، فرار من الخالق إلى أعتابه وهروب من الجبار إلى رحابه ، وعياذ برضاه من سخطه ، وبمعافاته من عقوبته ، وبه منه لا يُحصى ثناءٌ عليه ، لا ملجأ منه إلا إليه ، ولا مفرّ عنه إلى سواه ، ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ . [الذاريات : ٥٠]

والتوبة ملاذ مكين ، وملجأ حصين . دنس المعاصي يغسل بماء التوبة ولوثة الخطايا تزال بزلال الاستغفار .

أسأت ولم أحسن وجئتك تائباً
وأنى لعبدٍ من مواليه مَهربُ
يؤمّل غفراناً فإن خاب ظنه
فما أحدٌ منه على الأرض أخيبُ

obeikandl.com

الحمد لله

نعم الله علينا عظيمة ، وآلاؤه جسيمة ، وفضله لا حد له ، وكرمه لا ند له ، وعطاؤه لا مثيل له ، الإسلام نعمة ، والإيمان نعمة ، والتوحيد نعمة ، والخلق في أحسن تقويم نعمة ، والأهل نعمة ، والأبناء نعمة ، والزوجة نعمة ، والمسكن نعمة ، والمطعم نعمة ، والمشرب نعمة ، والملبس نعمة ، والأمن نعمة ، والعبادة نعمة ، والماء نعمة ، والهواء نعمة ، والبصر نعمة ، والسمع نعمة ، واليد نعمة ، والقدم نعمة ، والعقل نعمة والعافية نعمة ، والسلامة من الكوارث والزلازل والرعب والدمار نعمة .

وخلاصة الأمر : ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا** ﴾ [إبراهيم : ٣٤] .

فله الحمد على نعمه ، وله الشكر على عطائه ، وله الفضل ومنه الفضل وهو العزيز الحميد . حمد نفسه جل وعلا في أول آية من كتابه ليثني على نفسه ، فهو أهل الثناء والحمد ، وليُعَلِّم عباده أن يحمدوه ويمجدوه ويشكروه ويبتدئوا بحمده ، وينتهوا بحمده ، ويلهجوا بحمده فهو أهل الثناء والمجد ، وله الحمد في الأولى والآخرة، وأي أمرٍ لا يبتدئ بحمد الله فهو أجذم ، افتتحت خمس سورٍ من أبدع السور في القرآن الكريم بحمد الله تعالى ، وهي سورة الفاتحة ، وسورة الأنعام ، وسورة الكهف ، وسورة سبأ ، وسورة فاطر.

حمدٌ له على ربوبيته وألوهيته ، وحمدٌ له على خلق السماوات والأرض ، وحمدٌ له على إنزال الكتاب ، وحمدٌ له على سعة علمه وكمال إحاطته ، وحمدٌ له على أنه فطر السماوات والأرض ، وخلق الملائكة ، ويزيد في الخلق ما يشاء .

بدأت سورة الفاتحة بالحمد ، قال تعالى : ﴿ **الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين** ﴾ [الفاتحة : ٣] .

وبدأت سورة الأنعام بالحمد ، قال تعالى : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** ﴾ .

[الأنعام : ١]

وبدأت سورة الكهف بالحمد ، قال تعالى : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا** ﴾ [الكهف : ٢] .

وبدأت سورة سبأ بالحمد ، قال تعالى : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ** ﴾ [سبأ : ٢] .

وبدأت سورة فاطر بالحمد ، قال تعالى : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [فاطر : ١] .

وقد ورد ذكر الحمد في القرآن الكريم كثيراً ومنوعاً ، ليعرّف الله تعالى عباده كيف يحمدونه ويثنون عليه : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص : ٧٠] ، ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ [الروم : ١٨] .

وقد حمد الله تعالى نفسه في أول الخلق وآخره ، وعند الأمر والشرع حمد نفسه على ربوبيته للعالمين ، وحمد نفسه على تفرُّده بالألوهية وعلى حياته ، وحمد نفسه على امتناع اتصافه بما لا يليقُ بكماله ، من اتخاذ الولد والشريك وموالاة أحد من خلقه لحاجته إليه ، وحمد نفسه على علوّه وكبريائه ، وحمد نفسه في الأولى والآخرة ، وأخبر عن سريان حمده في العالم العلوي والسفلي ، ونبه على هذا كله في كتابه وحمد نفسه عليه .

فالحمد كله لله رب العالمين ؛ فإن المحمود على ما خلقه وأمر به ونهى عنه ، فهو المحمود على طاعات العبد ومعاصيهم وإيمانهم وكفرهم ، وهو المحمود على خلق الأبرار والفجار والملائكة والشياطين وعلى خلق الرسل وأعدائهم ، وهو المحمود على عدله في أعدائه ، كما هو المحمود على فضله وإنعامه على أوليائه ، فكلُّ ذرة من ذرات الكون شاهدة بحمده ، ولهذا سبح بحمده السماوات السبع والأرض ومن فيهن : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

ولهذا يقول النبي ﷺ عند الاعتدال من الركوع : « ربنا ولك الحمد

ملء السماء وملء الأرض ، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد » .

فله سبحانه الحمد حمداً يملأُ المخلوقات والفضاء الذي بين السماوات والأرض ، وملء بعد ذلك مما يشاء الله أن يملأ بحمده .

وجميع أسمائه تبارك وتعالى حمد ، وصفاته حمد ، وأفعاله حمد ، وأحكامه حمد ، وعدله حمد ، وانتقامه من أعدائه حمد ، وفضله في إحسانه إلى أوليائه حمد ، والخلق والأمر إنما قام بحمده ، ووجد بحمده ، وظهر بحمده .

والله تعالى أنزل كتابه بالحمد . وشرع دينه بالحمد . وأوجب ثوابه وعقابه بالحمد .. فحمده من لوازم ذاته ؛ إذ يستحيل أن يكون إلا محموداً . فالحمد سبب الخلق وغايته . بالحمد أوجده وللحمد وجد . فحمده واسع لما وسعه علمه ورحمته . وقد وسع ربنا كل شيء رحمة وعلماً . فلم يوجد شيئاً ولم يقدره ولم يشرع إلا بحمده ولحمده . وكل ما خلقه وشرعه فهو متضمن للغايات الحميدة ، ولا بد من لوازمها ولوازم لوازمها . ولهذا ملأ حمده سماواته وأرضه وما بينهما وما شاء من شيء بعد مما خلقه ويخلقه بعد هذا الخلق . فحمده ملأ ذلك كله . وحمده تعالى أنواع : حمد على ربوبيته ، وحمد على تفرده بها ، وحمد على ألوهيته وتفرده ، وحمد على نعمته ، وحمد على منته ، وحمد على حكمته ، وحمد على عدله في خلقه ، وحمد على غناه عن إيجاد الولد والشريك والولي من الذل ، وحمد على كماله الذي لا يليق بغيره، فهو

محمود على كل حال وفي كل آن ونفس ، وعلى كل ما فعل وكل ما شرع ، وعلى كل ما هو متصف به ، وعلى كل ما هو منزه عنه ، وعلى كل ما في الوجود من خير وشر ولذة وألم وعافية وبلاء . فكما أن الملكَ كله له والقدرة كلها له ، والعزة كلها له ، والعلم كله له ، والجمال كله له والحمد كله له ، كما في الدعاء المأثور : «اللهم لك الحمد كله ، ولك الملك كله ، وبيدك الخير كله ، وإليك يرجع الأمر كله علانيته وسرّه ، فأهل أن تحمد إنك على كل شيء قدير» [مسند احمد : ٦٦] .

وكما أن الله تعالّى بدأ كتابه بالحمد ، فكذلك نبيه ﷺ كان يبتدئ كلامه بالحمد ، ويفتتح خطابه بالحمد : «الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه . . » ، بل حينما نتعمق في فهم أبعاد الحمد ، وأسرار الحمد ، ودقائق الحمد ، نجد أمراً عجباً، فالله تعالى حميد مجيد ، وهو المحمود على كل حال ، وكتابه بدأ بالحمد ، وكلمة التوحيد كثيراً ما تقترن بالحمد : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على شيء قدير .

والركن الثاني من أركان الإسلام كله يفيض بالحمد ، ويضوع بالحمد ويبتدأ بالحمد : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك .

والقراءة فيها تبدأ بالحمد لله رب العالمين ، والركوع : سبحان ربي العظيم وبحمده ، والرفع من الركوع : سمع الله لمن حمده ، والمأموم يقول : ربنا ولك الحمد .

ومما يقال بعد الرفع من الركوع : اللهم لك الحمد حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه ، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك لك الحمد ملء السماوات والأرض ، وملء ما شئت من شيء بعد . وفي السجود : سبحان ربي الأعلى وبحمده ، وفي التشهد : إنك حميد مجيد ، وبعد الصلاة : الحمد لله ثلاثاً وثلاثين، وفي الحج ينشد الأبرار : إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

والنبي ﷺ يبتدئ بالحمد ، بل اسمه يحمل معاني الحمد ، فهو محمد ، وأحمد . .

قال تعالى: ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف:٦] فأحمد إشارة إلى النبي ﷺ باسمه وفعله ، وتنبيهاً أنه كما وجد اسمه أحمد ، فهو محمود في أخلاقه وأحواله وصفاته وأفعاله ، وخص لفظة أحمد فيما بشر به عيسى عليه السلام تنبيهاً أنه أحمد منه ومن الذين من قبله، فهو أحمد وفعله أحمد وصفاته أحمد ، وعبادته أحمد وأخلاقه أحمد ، ودينه أحمد ، وقوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ﴾ [الفتح : ٢٩] فهو إشارة إلى اسمه ﷺ ، وإشارة إلى ما تحمله كلمة محمد من الصفات والأفعال المحمودة ، وهذا المحمد الأحمد ملأ الكون بترانيم الحمد ، وعمر الليالي بأنوار الحمد ، وملأ القلوب برحيق الحمد ، وبث في النفوس والأسماع والأفئدة عبير الحمد ، فإذا الثناء العاطر ، والدعاء الآسر ، والعبارات الخلابة ، والكلمات الجذابة : « اللهم لك الحمد أنت قيِّم السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد لك مُلك السماوات والأرض

ومن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت مَلِك السماوات والأرض ، ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك حق ، ولقاؤك حق ، وقولك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ولك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت » [البخاري : ١٠٥٣].

ويُعَلِّم أصحابه أن يلهجوا بالحمد ، ويعمروا به أوقاتهم وينيروا به بصائرهم وأبصارهم ، فيقول ﷺ : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مئة حسنة ، ومحيت عنه مئة خطيئة ، وكانت حرزاً له من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك » [صحيح الجامع : ٦٤٣٧] .

ويقول ﷺ : « أفضل الدعاء : الحمد لله » [انظر صحيح الجامع : ١١٠٤] .

ويقول ﷺ : « الحمد لله تملأ ما بين السماء والأرض » .

[انظر صحيح الجامع : ٣٩٥٧]

ويقول ﷺ : « من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » [صحيح الجامع : ٦٤٣١] .

ويَقول ﷺ : « إن الله تعالى اصطفى من الكلام أربعاً : سبحان الله

والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر . فمن قال : سبحان الله كتبت له عشرون حسنة ، وحطت عنه عشرون سيئة . ومن قال الله أكبر مثل ذلك . ومن قال : لا إله إلا الله مثل ذلك ، ومن قال الحمد لله رب العالمين من قِبَلِ نفسه كتبت له ثلاثون حسنة ، وحطت عن ثلاثون خطيئة » [صحيح الجامع : ١٧١٨] .

فالله تعالى أحق من ذكر ، وأحق من حمد ، وأولى من شكر ، أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد ، وكلنا له عبد ، له الحمد حمداً طيباً كثيراً مباركاً ، له الحمد ملء السموات والأرض ، وما بينهما وملء كل شيء بعد ، له الحمد حتى يرضى ، وله الحمد بعد الرضا، وله الحمد عدد خلقه ، وزنة عرشه ، ورضا نفسه ، ومداد كلماته ، سبحانه لا نحصي ثناءً عليه ، هو كما أثنى على نفسه .

لك الحمدُ طوعاً ... لك الحمدُ فرْضا
وثيقاً عميقاً ... سماءً وأرْضا
لك الحمدُ صَمْتاً ... لك الحمدُ ذكراً
لك الحمدُ خفْقاً حثيثاً ... ونبْضا
لك الحمدُ ملءَ خلايا جناني
وكل كِياني .. رُنواً وغَمْضا
إلهي وجاهي إليك اتجاهي
وطيداً مديداً ... لترضى فأرْضى
فأنتَ قوامي .. وأنت انسجامي
مع الكونِ ، والأمرُ لولاكَ فوضى

اللـه .. له الحمد وله الشكر ، نور السماوات والأرض ومن فيهن ، له الحمد فهو قيوم السماوات والأرض ومن فيهن ، وله الحمد فهو رب السماوات والأرض ومن فيهن ، وله الحمد فهو الحق ، ووعده الحق ، وقوله الحق ، ولقاؤه حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق ، والساعة حق ، له أسلمنا ، وبه آمنا ، وعليه توكلنا ، وإليه أنبنا ، وبه خاصمنا ، وإليه حاكمنا ، فنسأله أن يغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا ، وما أسررنا وما أعلنا ، فهو إلهنا لا إله إلا هو .

اللـه .. سبحانه . افتتح الخلق بالحمد ، وختم أمر هذا العالم بالحمد فقال : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ..** ﴾ [الأنعام:١] ، وقال : ﴿ **وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الزمر : ٧٥] .

اللـه .. أوسع من أعطى ، وأرحم من استرحم ، وأكرم من قُصِد ، وأعز من التُجِئ إليه ، وأكفى من توكل العبد عليه ، أرحم بعبده من الوالدة بولدها ، وأشد فرحاً بتوبة التائب من الفاقد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة إذا يئس من الحياة ثم وجدها .

وهوالملك لا شريك له ، والفرد فلا ند له ، كل شيء هالك إلا وجهه ، لن يُطاع إلا بإذنه ، ولن يُعصى إلا بعلمه ، يُطاع فيشكر ، وبتوفيقه ونعمته أطيع ، ويُعصى فيغفر ، ويعفو وحقه أضيع ، فهو أقرب شهيد ، وأجل حفيظ ، وأوفى بالعِدَة ، وأعدل قائم بالقسط ، حال دون النفوس ، وأخذ النواصي ، وكتب الآثار ، ونسخ الآجال ، فالقلوب له مفضية ، والسر عنده علانية ، والغيب لديه مكشوف ، وكل أحد إليه ملهوف ،

وعنت الوجوه لنور وجهه ، وعجزت العقول عن إدراك كنهه، ودلت الفطر والأدلة كلُّها على امتناع مثله وشبهه ، أشرقت لنور وجهه الظلمات واستنارت له الأرض والسماوات ، وصلحت عليه جميع المخلوقات.

نوحٌ عليه السلام كان دائم اللهج بذكر الله ، كثير الشكر لله كثير الحمد لله ، ما أكل شيئاً قط إلا قال : الحمد لله ، ولم يشرب شراباً قط إلا قال : الحمد لله ، ولم يمش مشياً إلا قال : الحمد لله ، ولم يلبس لباساً إلا قال : الحمد لله ، فأثنى الله عليه بقوله : ﴿ **إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا** ﴾ .

ومما يروى أن نبيّ الله دانيال عليه السلام قبض عليه بُخْتُنصَّر وحبسه في مكان ، وأخذ أسدين فأضراهما ، وجوّعهما ، ثم حبسهما معه ، وأغلق عليهما ، وبعد مرور خمسة أيام فتح السجن فوجد دانيال قائماً يصلي والأسدان في ناحية الجُبّ لم يعرضا له ، فقال له بُخْتُنصَّر : أخبرني ماذا قُلت فدُفع عنك؟ قال : قُلت : «الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ، والحمد لله الذي لا يُخيّب من رجاه ، والحمد لله الذي لا يكلُ من توكل عليه إلى غيره ، والحمد لله الذي هو ثقتنا حين تنقطع عنا الحيل ، والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين يسوء ظننا بأعمالنا ، والحمدُ لله الذي يكشف ضُرّنا عند كربنا ، الحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحساناً ، الحمدُ لله الذي يجزي بالصبر نجاةً» .

ومن أشد الناس ذكراً لله ومعرفةً به وإجلالاً له : الحسن البصري – رحمه الله – الذي أثر عنه من كلمات الثناء ، وعبارات الدعاء ، ما ينبئ عن قلب حي ، وذهن متوقد ، ونفسٍ مؤمنة ، كان إذا جلس في مجلسه

قال : اللهم لك الحمدُ بما بسطت رزقنا ، وأظهرت أمننا ، وأحسنت معافاتنا ، ومن كل ما سألناك من صالح أعطيتنا ، فلك الحمدُ بالإسلام ، ولك الحمد بالأهل والمال ، ولك الحمدُ باليقين والمعافاة .

اللهم لك الحمدُ بالإسلام ، ولك الحمد بالقرآن ، ولك الحمد بالأهل والمال ، بسطت رزقنا وأظهرت أمننا ، وأحسنت معافاتنا ، ومن كل ما سألناك من صالح أعطيتنا ، فلك الحمدُ كثيراً كما تُنعم كثيراً ، أعطيت خيراً كثيراً ، وصرفت شراً كبيراً ، فلوجهك الجليل الباقي الدائم ؛ الحمد لله رب العالمين .

وهذا مُحارب بن دثار كان قاضياً من قضاة الكوفة ، يقول أحد جيرانه : كنا إذا أظلم الليل ، ونامت العيون نسمع محارب بن دثار وهو يدعو ويرجو ويهتف ويبكي في ظلمة الليل ، وكان مما يقول :

(يا الله أنا الصغير الذي ربيته فلك الحمد ، أنا الضعيف الذي قويته فلك الحمد ، أنا الفقير الذي أغنيته فلك الحمد ، أنا الغريب الذي وصيته فلك الحمد ، أنا الصعلوك الذي مولته فلك الحمد ، أنا العزب الذي زوجته فلك الحمد ، أنا الساغب الذي أشبعته فلك الحمد ، أنا العاري الذي كسوته فلك الحمد ، أنا المسافر الذي صاحبته فلك الحمد أنا الغائب الذي رددته فلك الحمد ، أنا الراجل الذي حملته فلك الحمد أنا المريض الذي شفيته فلك الحمد ، أنا السائل الذي أعطيته فلك الحمد ، أنا الداعي الذي أجبته فلك الحمد، فلك الحمدُ ربنا حمداً كثيراً على حمدي لك) .

لك الحمد كُلّ الحمد . لا مَبْدأٌ له
ولا منتهى . والله بالحمد أعلمُ

قال ﷺ : «الحمد لله تملأ ما بين السماء والأرض» ، وما أسدى لأحد نعمة ، فقال : الحمد لله إلا كان ما أعطى خيراً مما أخذ ، وكلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ، والعبد إذا قرأ قوله تعالى : ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ قال الله حمدني عبدي ، فهو تعالى مستحق الحمد ، وهو أهل الحمد ، وأهل الثناء والمجد ، نحمده حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه ، نحمده كما يحب تعالى ويرضى ، نحمده ملء السماوات وملء الأرض ، وملء ما بينهما ، وملء ما شاء من شيء بعد ، لقد علمنا رسول الله ﷺ أن نلهج بحمد الله تعالى، وأن نثني عليه ونحمده على كل حال ، وفي كل آن .

إذا طعم المسلم من فضل الله جل وعلا ، وهوالمنعم المتفضل ، الرازق الكريم ، يقول : «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين» ، وإذا شرب الماء القراح قال : «الحمد لله الذي جعله عذباً فراتاً برحمته ، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا» .

وقال ﷺ : «من أكل طعاماً ثم قال : الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة ، غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن لبس ثوباً ، فقال : الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة ، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» [صحيح الجامع : ٦٠٨٦] .

وإذا اكتسى ثوباً أو عمامة أو نحو ذلك قال : «الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة ، اللهم إني أسألك من خيره وخير ما هو له» .

وإذا ركب دابة قال ما علمه الله إياه : «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين . وإنا إلى ربنا لمنقلبون» .

وإذا استيقظ من نومه قال : «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور» .

وإذا قضى ضرورته البشرية وخرج من الخلاء قال : «الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني» .

وإذا رأى مبتلى في جسمه أو حواسه قال : «الحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثيراً من خلقه» .

وإذا تم له أمر على ما كان يبغي ويريد قال : «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات» .

وفي الحديث الحسن عن أبي موسى الأشعري : إذا مات ولدُ الرجل ، يقول الله تعالى لملائكته : «أقبضتم ولد عبدي» ؟ فيقولون: نعم . فيقول : «فماذا قال عبدي؟» ، فيقولون : حمدك واسترجع . فيقول : «ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسمّوه بيت الحمد» [حسنه الالباني في الصحيحة] .

وإذا خاب له رجاء أو حدث له ما يكره بطبيعته البشرية قال :

«الحمد لله على كل حال» .

وإذا استقبل وجه الصباح قال : «اللهم إني أصبحت منك في نعمة وعافية وستر ، فأتم علي نعمتك وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة ، اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر» ، وإذا أظله المساء قال مثل ما قال في الصباح .

فهذا هو شعور المؤمن دائماً ، شعور الذاكر لنعمة الله ، الشاكر لفضل الله ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** ﴾ [النحل : ٥٣] ، ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا** ﴾ [إبراهيم : ٣٤] .